

# الصارم المسلول

على عبید الجابري

بما أفتى به أهل أوروبا من الفتون والفجور

[يا أهل أوروبا مه أراد منكم الهجرة فليهاجر إلى برمنجهام

فوالله إنها دار هجرة]

قرأها وأذن بنشرها فضيلة الشيخ العلامة

يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

كتبه

أبو هارون محمد بن عبد النور الصومالي نزيل اليمن

دار الحديث بدماج

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،  
أما بعد:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعود بالله من فتن المضلين.

ثم أما بعد:

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٢﴾ فاطر: ٣، وقال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ﴿١١﴾ الضحى: ١١، وقال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ﴿٧﴾ إبراهيم: ٧، فالله سبحانه وتعالى يزيد الشاكرين من فضله وإحسانه وقليل ما هم، قال جل وعلا ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ سبأ: ١٣، فإذا أردت المزيد من النعم فاشكر الله عز وجل، وإذا أردت زوال النعم فاكفرها، والعياذ بالله ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾.

وإن مما يجب على أن أشكر الله أن هداني إلى ملة إبراهيم حنيفاً ولم يجعلني من المشركين من فضله ورحمته وإحسانه وحده لا شريك له في ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ النساء: ١٢٥، ﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨) يوسف: ٣٨.

وكما أشكره سبحانه وتعالى أن هداني إلى سنة خير الخلق محمد ﷺ، وأن هداني إلى طلب العلم الشرعي على أيدي رجل عالم من علماء أهل الحديث فأتتلمذ عليه وأخذ منه ديني بكل أمانة وأستفيد منه علماً وثباتاً وسنة وسلفية وتميزاً وبعداً عن التميع والبدع والتحزب والخرافات وسائر المخالفات الشرعية فالحمد لله رب العالمين.

هذا وقد قال محمد بن سيرين رحمه الله كما في "مقدمة صحيح مسلم": «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم».

وقال أيوب السخيتاني رحمه الله: «إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة» "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١/ ٦٠)

فالحمد لله الذي يسر لي طلب العلم عند هذا المجلس الصالح الناصح الأمين ألا وهو شيخنا الكريم العلامة المحدث أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري أسأل الله أن يحفظه من كل سوء ومكروه وأن يبارك فيه وفي علمه وماله وأولاده إن الله قريب مجيب دعوة الداع إذا دعاه، ﴿وَلِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ النحل: ١٨، ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ (٥٣) النحل: ٥٣.

ثم اعلم أيها السني أن المنتسبين إلى هذا المنهج القويم كثيرون ولكن للأسف الناصحون منهم قليلون وكل ذلك يتضح لك عند الفتن والابتلاءات والتمحيصات، وكما قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

فمن حكمة الله البالغة أن تأتي فتنة فيكشف الله بها ستور المفتونين ويتضح لك حينئذ المحق من المبطل والمحسن من المفسد والسلفي من الحزبي. هذه سنة الله في خلقه ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) الفتح: ٢٣، و ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ الروم: ٤، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٩) هود: ٤٩.

ومن ضمن أولئك الذين افتضحوا فضيحة شنعاء في هذه الفتنة الأخيرة هو عبيد بن عبد الله الجابري ذلكم الحزبي المفترى، فإنه لا يخفى على كل سلفي ناصح لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين ما حصل من هذا الرجل من الفجور والفتون والبغي والاعتداء على دعوة السلفية وإيذائه لأولياء الله الصالحين وغشه المتوالي للإسلام والمسلمين، فتارة يجيز لهم الاختلاط وتارة يجيز لهم تصوير ذوات الأرواح وتارة يدعوهم إلى الانتخابات التي هي منظمة من الديمقراطية الكفرية، وأعجب من ذلك كله ما أفتى به هذا الرجل المسلم بأن برمنجهام التي هي في بريطانيا صارت دار هجرة وعلى من أراد الهجرة من أهل أوروبا أن يهاجر إليها!!! وهذا الجنون من عبيد الجابري هو الذي نحن بصدد الرد عليه في هذا المقام وأنا نعتقد أن المبتل يُرد عليه لزماً ولا يجوز السكوت عنه أياً كان ﴿مَعْدَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَعُونَ﴾ (١٦٤) الأعراف: ١٦٤، بل نحن نعتقد أن السكوت عن المنكرات من أعظم المهلكات ومن رضي بها عالماً بأنها منكر كفر لقوله - عليه الصلاة والسلام - كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وقد جاء رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» قال ابن الملقن رحمته الله: أي: لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة أخرى، لأنه إذا لم يكرهه بقلبه فقد رضي بالمعصية، وليس ذلك شأن أهل الإيمان، بل هو كفر إن اعتقد جوازه، وإن رضي به لغلبة الشهوة والهوى مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق... - إلى أن قال -: المؤمن العدل، هو الأمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، ومن لا فيها فالمنافق لأن الله سبحانه وتعالى وصفه بذلك. انتهى المقصود. "المعين على فهم الأربعين" (ص ٢٩٠-٢٩٢) فالسكوت عن الباطل وأهله من أعظم الموجبات لغضب الله وعذابه ولعنه قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) المائدة: ٧٨، وقال رسول الله ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» أخرجه أبو داود عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني وهو في الجامع الصحيح للعلامة الوادعي رحمته الله.

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٥): فدلّت هذه الأحاديث كلها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأن إنكاره بالقلب لا بد منه، فمن لم يُنكر قلبه المنكر، دلّ على ذهاب الإيمان من قلبه.

وأخرج أبو داود أيضاً من حديث العُرسِ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِذَا عَمِلْتَ الْخُطِيئَةَ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا ». حسنه العلامة الألباني رحمه الله.

قال ابن رجب رحمه الله : « الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات ، ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب ، وهو فرض على كل مسلم ، لا يسقط عن أحدٍ في حالٍ من الأحوال ». اهـ

وقد ثبت من حديث أبي سعيد الخدري رحمه الله عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ : مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ فَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ عَبْدًا حُجَّتُهُ قَالَ : يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَفَرَّقْتُ مِنَ النَّاسِ » (أخرجه ابن ماجة وحسنه العلامة الوادعي في الجامع الصحيح) فدل الحديث على أن من لم يكن عنده عذر في ترك إنكار المنكر هلك.

• فعلم من هذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سبل السلام الذي يستجلب العبد به رضوان ربه ويبيعه من سخط الله وعذابه قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٥) الأعراف: ١٦٥، وقال: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (١١٣) هود: ١١٦-١١٧.

• والنهي عن المنكر من أسباب العصمة من الوقعة في الفتن والمحرمات لقوله عليه الصلاة والسلام: « فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ».

• والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مميزات هذه الأمة المحمدية، فهي خير أمة أخرجت للناس بسبب قيامها بهذا الأمر العظيم، قال الله عز وجل: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠.

- القيام بهذا الأمر العظيم من أسباب الفلاح وهو من أعظم ما يتصف به المؤمن من مكارم الأخلاق والأوصاف الحميدة، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) آل عمران: ١٠٤، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) التوبة: ٧١.

وإن مما يتعجب منه أشد التعجب أن أقواماً من المنتسبين إلى نشر العلم والهدى وتحذير المسلمين من التحزب والبدع لا يزالون ساكتين عن عبيد الجابري وحاله هذا !! فإن عبيد الجابري قد أفسد في دعوة رسول الله ﷺ في هذه الآونة الأخيرة مما لم يفعله أحد من أسلافه من المتحزبين من الإخوان المفلسين وغيرهم من المفسدين في دعوة رسول الله ﷺ وقد قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني لا أحل لهم إفساد ما أصلحت» أخرجه أبو عاصم في السنة عن معاذ بن جبل وصححه العلامة الوادعي. فكل ما ذكرت لا ينكره أحد والواقع يشهد على ذلك. فإلى الله المشتكى وإلى الآن على حسب اطلاعي لم نر أحداً من العلماء ينكر على عبيد الجابري على ما حصل منه من الأفعال والشنيعة والأقوال البشعة إلا شيخنا يحيى -حفظه الله-، ومن أمثاله من القوالين بالحق الذين لا يخافون في الله لومة لائم وقليل ما هم بالنسبة لغيرهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩) الكهف: ٢٩، ويقول: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) الحجر: ٩٤.

ثم إن مثل عبيد الجابري لا يهاب ولا هيبه له. هذا وقد قال النبي ﷺ: «لا يمتنع أحدكم هيبه الناس أن يقول في حق إذا رآه أو شاهده أو سمعه» (أخرجه أحمد عن أبي سعيد) فعبيد الجابري وأمثاله من الفويسقة من باب أولى أن ينكر عليهم فوراً حتى يحذرهم الناس ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ولكن ذلك غربة الدين.

قال الإمام الألباني رحمه الله رحمة واسعة: «أليس واجباً كشف حال الجاهل؟ التحذير منه؟ أليس هذا نفس طريقة علماء الإسلام منذ قديم الزمان لنقض كل منحرف هجام ونقد كل

متطاول هدام، ثم أليس السكوت عنه سييلاً يغرر به العامة الدهماء والهمج الرعاع فليكن ما كان، فالنصيحة هي أس الدين وكشف المبطل صيانة للحق المبين ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ «ولو بعد حين» اهـ المقصود من "النصيحة" (ص ٧).

قال الإمام ابن الملحق رحمته الله: «وهذا الباب - أي باب النهي عن المنكر وعدم السكوت عن المبطلين - قد ضيع أكثره في أزمان متطاوله، ولم يبق إلا الرسوم وهو باب عظيم به الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب: الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على أيدي الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقاب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ٦٣، فينبغي للطالب والساعي في رضا الشرعية أن يعتني بذلك فإن نفعه عام لا يهاب أحداً، فإن الرب - جل جلاله - وعده بالنصرة حيث قال: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ الحج: ٤٠، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: ١٠١، وقال: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكذابين ﴿العنكبوت: ٢ - ٣، والأجر على قدر النصب، ولا يحابي صديق ولا يداهنه بل حقه نصحه﴾. انتهى المقصود "المعين على فهم الأربعين" (ص ٢٨٩)

ثم قال رحمته الله في (ص ٢٩٠): أنبأني الحافظ فتح الدين اليعمري عن شيخ الإسلام الإمام تقي الدين القشيري لنفسه - رحمه الله تعالى - :

قد عرف المنكر واستنكر الـ	معروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدة	وصار أهل الجهل في رتبة
ساروا فما للجور فيما مضى	من الذي حازوا به نسبة
قلت للأبرار أهل التقى	والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت	نوبتكم في زمن الكربة

ثم تعجب مرة أخرى على قوم قاموا بالدفاع عن عبيد الجابري من كل حذب وصوب بعد أن حصل منه ما حصل بل إن بعضهم مستميتين في الدفاع عنه على الباطل وليست مصيبة المتبخر عنكم ببعيد ذلكم الجويهل المسمى بعبد الله بن عبد الرحيم البخاري عصره في

الجهالة -أصلحه الله- فهذا الرجل وأمثاله من النوكى المتعصبة لعبيد الجابري ليسوا من الناصحين للمؤمنين ولا عندهم غضب لله على انتهاك محارمه وإلا لأنكروا على عبيد الجابري مع ما يحصل منه من القول في الله وفي شرعه بغير برهان ولا قرآن.

قال ابن رجب رحمته الله : واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثوابه ، وتارة خوف العقاب في تركه ، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه ، وتارة النصيحة للمؤمنين ، والرحمة لهم ، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة ، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبتة ، وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، وأن يفندى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال. انتهى المقصود من "جامع العلوم"

فخلاصة المسألة أن المرء يحب على قدر طاعته لله عز وجل ويبغض على قدر معصيته، فكل من انحرف عن الحق ينكر عليه ولا يجوز السكوت عنه فمن باب أولى أنه لا يجوز التعصب والدفاع عنه بالباطل وأن الحب والولاية للشخص تكون لله وفي الله عز وجل، فمن يفهم هؤلاء الحمقى الذين يتعصبون ويدافعون عن أهل الزيف والانحراف ويطعنون في أهل السنة، أهل العدل والإنصاف ويعادونهم أشد العدا ويبغضونهم أشد البغض ويزيقوهم جميع أنواع الأذى!! فبأي دين هذا؟ وبأي كتاب وعلى سنة من؟؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالعدل والإنصاف مع القريب والبعيد حتى الكفار.

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ بِالْأَقْسَطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ النساء: ١٣٥، وقال: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ المائدة: ٨.

قال ابن القيم رحمته الله: فإذا كان قد نهى عباده أن يحملهم بغضهم لأعدائه أن لا يعدلوا عليهم مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم وتكذيبهم لله ورسوله فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان أن يحلمه

بغضه لطائفة منتسبة إلى الرسول تصيب وتخطيء على أن لا يعدل فيهم بل يجرد لهم العداوة وأنواع الأذى ولعله لا يدري أنهم أولى بالله ورسوله وما جاء به منه علماً وعملاً ودعوة إلى الله على بصيرة وصبرا من قومهم على الأذى في الله وإقامة لحجة الله ومعدرة لمن خالفهم بالجهل لا كمن نصب معاملة صادرة عن آراء الرجال فدعا إليها وعاقب عليها وعادى من خالفها بالعصية وحمية الجاهلية والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به. "بداع الفوائد" (٢/٦٥٠).

ومن هنا ندخل في مناقشتنا لعبيد بخصوص تلك الفتوى البائرة التي صدرت منه وإليك أيها القارئ نص فتوى عبید الجابري.

نص فتوى عبید الجابري كما نقل عنه ذلك الناقل المسمى بـ «فلاح بن إسماعيل» يقول الناقل: (تذكرت كلمة من كلمات شيخنا، الشيخ عبید بن عبد الله الجابري يحفظه الله ويمتع به الذكر، طبعاً بالوصف الشيخ ما راح (لم يذهب)... دائماً يسألني عن «برمنجهام» فأعطيته وصفاً دقيقاً، فقرّر بعدها وصار يفتي للإخوان أنه يا أهل أوروبا! من أراد منكم الهجرة فليهاجر إلى «برمنجهام» فإنها والله دار هجرة<sup>(١)</sup>...) اهـ

أقول: هذه فتوى باطلة بالنص وبإجماع علماء المسلمين كافة وأضيف إلى ذلك ما رأيانه من الشرور في حال مكثنا هناك في بريطانيا ما يقارب نحو عشرين سنة حتى وجدنا نفس الرحمن من قبل اليمن، وقد قال النبي ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة» وسنين بطلان هذه الفتوى التي هي صادرة عن الهوى و تسويلات النفس في خلال بعض الفصول المختصرة إن شاء الله تعالى على النحو التالي:

(١) ثم بعد أن فرغت من هذا البحث اطلعت على كلام منشور من هذا الرجل ظاهره توبة وتراجع عن هذه المقالة وباطنه تملصات وإقرار بنفس الخطأ حيث يقول فيها «أنا لا أدعوا إلى الهجرة إلى برمنجهام إنما أدعوا إلى الهجرة حيث توجد المكتبة» !!! أقول: وأين المكتبة يا فضيلة الشيخ؟؟ هل هي في المملكة السعودية؟؟ أم هي في برمنجهام؟! فلما رأينا أن هذا الرجل لم يوفق إلى توبة واضحة تبرأ به ذمته عزمنا على إخراج هذا البحث وأنى لصاحب بدعة أن يوفق إلى التوبة.

- الفصل الأول: تعريف الهجرة وبيان وجوبها.
- الفصل الثاني: الهجرة لا تكون إلا إلى بلاد الإسلام.
- الفصل الثالث: التفريق بين بلد الكفر وبلد الإسلام.
- الفصل الرابع: في ذكر بعض الأضرار الحاصلة في المكث بين ظهري الكفار.
- الفصل الخامس: نبذة مختصرة في معرفة الأرض المقدسة التي حث فضيلة الشيخ عبيد أهل أوروبا أن يهاجروا إليها.
- الفصل السادس: عبيد الجابري لا يصلح للفتوى.
- الفصل السابع: نصيح لأهل أوروبا.
- الفصل الثامن: نصيح وزجر لعبيد.

## الفصل الأول: تعريف الهجرة وبيان وجوبها

فالظاهر أن فضيلة الشيخ المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً لا يدري ما هي الهجرة.

**تعريف الهجرة «لغة»:** قال ابن الأثير في "النهاية": الهجرة في الأصل: الاسم من الهجر ضد الوصل. وقد هجره هجراً وهجراناً ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض وترك الأولى للثانية. يُقال منه: هاجر مهاجرةً.

وقال الفيروز أبادي في "القاموس المحيط": والهجرة، بالكسر والضم الخروج من أرضٍ إلى أخرى.

**تعريف الهجرة شرعاً مع بيان حكمها ودليلها:**

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللهُ فِي "الأصول الثلاثة" ما نصه: وَالْهَجْرَةُ الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ. وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفُلُكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝١٩﴾ النساء: ٩٧ - ٩٩هـ.

قال الحافظ ابن كثير: وقال عكرمة : نزلت هذه الآية في شباب من قریش، كانوا تكلموا بالإسلام... -إلى قوله- : فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهرائي المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ النساء: ٩٧ أي: بترك الهجرة ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ النساء: ٩٧ أي: لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ النساء: ٩٧ أي: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ النساء: ٩٧.

قال العلامة السعدي رحمه الله: وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر. اهـ من «تفسير الكريم الرحمن»

قال العلامة العثيمين رحمه الله: الهجرة: أن ينتقل الإنسان من دار الكفر إلى دار الإسلام . مثل أن يكون رجل في أمريكا - وأمريكا دار كفر - فيسلم، ولا يتمكن من إظهار دينه هناك، فينتقل منها إلى البلاد الإسلامية، فهذه هي الهجرة. اهـ "شرح رياض الصالحين" (١/ ١١).

أما الهجرة عند الجابري فهي انتقال من أوروبا إلى برمنجهام!! واعجباً، ومتى صارت برمنجهام دار هجرة يا عبيد؟ أقول كل من تحزب تحرب خذوها قاعدة!

ويقول العلامة محمد بن صالح العثيمين أيضاً كما في "شرح ثلاثة الأصول": فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب -إلى قوله-: أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. اهـ  
فخلاصة المسألة أن الهجرة واجبة على كل مسلم مقيم بين ظهرائي الكفار، ولا يستطيع أن يقيم دينه مع قدرته على الهجرة.

## الفصل الثاني: الهجرة لا تكون إلا إلى بلاد الإسلام

قال العلامة حمد بن عبد العزيز كما في "الدرر السنية" (٨/٤٢٦): الهجرة من بلاد المشركين إلى بلاد الإسلام، فرض واجب بنص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة؛ وقد فرضها الله على رسوله وأصحابه، قبل فرض الصوم والحج، كما هو مقرر في الأصول والفروع... - إلى قوله-: فهذه مسألة هي من أصول الشريعة المحمدية، وليست من مسائل الخلاف، بل هي مجمع عليها، ولا ينازع فيها إلا ضال أضل من حمار أهله.

مسألة: من كان ممن تجب عليه الهجرة وعجز عن الهجرة إلى بلد إسلامي فخرج إلى بلد آخر من بلاد الكفر أخف ضرراً من تلك البلد التي كان فيها، هل يقال عنه مهاجر؟ وأنه تحصل على الهجرة المطلوبة شرعاً التي أثنى الله عليها في كتابه قائلاً: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ النساء: ١٠٠؟ وهل يتصور له مثل هذه الأجور والثواب العظيم المذكور في الآية، كأن ينتقل من فرنسا إلى برمنجهام مثلاً؟ وهل ينبغي لمن ينتسب إلى العلم والصلاح أن يدعو المسلمين إلى نحو ما سبق باسم الهجرة ويحث على ذلك ويتساهل في تحذير المسلمين من الأضرار والعواقب الوخيمة من وراء مخالطة الكافرين؟!

الجواب: كل ذلك ليس بصحيح بل من الخطأ وقد قدمنا نصوص الأئمة في تعريف الهجرة فيما مضى وعلى هذا لا يقال عنه مهاجر من ينتقل من فرنسا إلى برمنجهام مثلاً، ولا تسمى هذه هجرة إلا إذا كانت محمولة على المعنى اللغوي أما شرعاً فلا، وهي في الشرع مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وطلب إقامة الدين، وكلام العلامة النجدي والعلامة العثيمين المتقدم واضح في هذا المعنى ونعيده هنا باختصار لأهميته.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمته الله: «وَالْهَجْرَةُ الَّتِي تَقَالُ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ. وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ».

قال العلامة العثيمين رحمته الله: «الهجرة: أن ينتقل الإنسان من دار الكفر إلى دار الإسلام. مثل أن يكون رجل في أمريكا - وأمريكا دار كفر - فيسلم، ولا يتمكن من إظهار دينه هناك، فينتقل منها إلى البلاد الإسلامية، فهذه هي الهجرة».

وقال الشيخ زيد المدخلي: «فالفرار إنما يكون من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام مهما كان حالها». اهـ.

وأما من كان معذوراً شرعاً عن الهجرة وكان عاجزاً فعلاً ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ولكن يا أخي لا يصلح التساهل في ذلك بل يجب التحفظ وإمعان النظر في الشروط والضوابط الشرعية للتمييز بين من كان في حكم العاجز ومن كان متبعاً للرخص فأولئك من ضمن ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿٩٧﴾؛ فإننا نلاحظ أن بعض الناس عندهم نظرة خاطئة في حد من كان عاجزاً عن الهجرة فإن لم تيسر له الهجرة إلى السعودية أو الكويت أو إلى دولة من دول الخليج أو غيرها من البلدان الإسلامية التي هي متساوية في المعيشة التي تعود عليها في ذلك البلد الكافر الذي يعيش فيه فهو يرى نفسه في حكم العاجز عن الهجرة وإن كان في إمكانه أن يهاجر إلى دولة مسلمة أخرى يأمن فيها على دينه وإن كان فيها شيء من الفقر مثل اليمن، فإن المسألة هي مسألة الفرار بالدين و التخلص من الشرك وأهله وإتباع رضوان الله والتماس مرضاته سبحانه، وليس هي مسألة بحث عن الراحة والتماس الرخص، فمن الذي قال أن من شأن الهجرة الراحة؟؟ وقد قال النبي ﷺ لذلك الأعرابي الذي سأله عن الهجرة كما في "صحيح البخاري" عن أبي سعيد: «وَيُحْكَمُ إِنَّ الْهَجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ»؛ فلا بد من الصبر عليها، ثم إن الدنيا هي سجن المؤمن وجنة الكافر كما ثبت ذلك عن المعصوم من حديث أبي هريرة عند الإمام مسلم؛ فإذا ليس من شأن المؤمن تقديم المعيشة والراحة الجسمية على إصلاح دينه والأخذ بالأسباب التي تبعده عن الأعمال التي تؤدي به إلى النار - والعياذ بالله - .

ومع ذلك فإننا لا نقول أن من يهاجر في سبيل الله يعيش في عذاب وضيق وقلق بل إنهم يعيشون في راحة نفسية وعلى الله رزقهم ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٦﴾ هود: ٦، بل هم آخذين بأعظم الأسباب في حصول الرزق لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ النساء: ١٠٠ .

قال العلامة السعدي رحمته الله: «فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغماً في الأرض وسعة، فالمرغم مشتمل على مصالح الدين، والسعة على مصالح الدنيا، وذلك أن كثيراً من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتاً بعد الألفة، وفقرًا بعد الغنى، وذلك بعد العزة، وشدة بعد الرخاء، والأمير ليس كذلك». انتهى من "تفسير السعدي".

ومن العجب أنهم يجدون من يقرهم على ما هم عليه ويقول لهم ما دام لم يمكنكم الهجرة إلى السعودية أو الكويت أو دول الخليج أو ... أو ... فعليكم بالهجرة إلى برمنجهما فوالله إنها دار هجرة!!!

فعلى هذا لا ينبغي التهرب في مثل هذه الأمور بل ينبغي التهرب ويذكرون باستمرار على ما جاء من الوعيد الشديد في البقاء بين ظهري الكفار بغير عذر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً وَنَحْنُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَةِ﴾ الآية ونحو ذلك من الأدلة في التهرب من البقاء بين في ديار الكافرين مع عدم إقامة الدين. ولا يجوز تميم القضية وعدم النظر والتحفظ في المسألة، وإنما كل من استفتاك قلت له هاجر إلى برمنجهما ولا حرج!! والله هذا حرام والدعوة إلى الهلاك نسأل الله السلامة.

وأما استدلالهم بهجرة الصحابة إلى الحبشة فهذا لا يساغ لهم لأمر:

الأمر الأول: لأنه كان ذلك في بداية الإسلام ولم يكن هناك بلد إسلامي يُهاجر إليه ولا نعلم أحد من الصحابة ولا التابعين يقولون أن الانتقال من بلد الكفر إلى بلد كفر آخر أن ذلك هجرة بعد أن استقر الإسلام في بلدان العالم وحصلت الفتوحات.

قال الحافظ "في الفتوح" (١/ ١٨): «الهجرة: الترك، والهجرة إلى شيء الانتقال إليه عن غيره.

وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه. وقد وقعت في الإسلام على وجهين: الأول الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة، الثاني الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهاجر إليه من أمكن ذلك من المسلمين وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص، وبقي العموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقياً» اهـ المقصود.

وتأمل قوله: «وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة» فهذا ظاهر في المسألة، أنه لما استقر الإسلام وانتشر في بلدان العالم لم يكن هناك هجرة إلى بلد الكفر مهما كان حالها.

قال العلامة حمد بن عبد العزيز في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ النساء: ٩٧، قال: ولم يكن إذ ذاك دار هجرة غير المدينة. اهـ المقصود.

الأمر الثاني: ليس هناك اليوم بلد مثل الحبشة آنذاك لأسباب:

١- كان النجاشي رحمته الله خير جار.

٢- أمن الصحابة على دينهم.

٣- كان الصحابة لا يؤذون.

٤- كانوا لا يسمعون شيئاً يكرهونه.

دل على ذلك حديث أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيِّ أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ...»

أقول: أنا لا أعلم بلدة واحدة من بلدان الكفار يأمن فيها المسلمون على دينهم على هذا الحال المذكور في الحديث بل هم والله في ضيق وخوف.

٥- النجاشي آوى المؤمنين وكان الصحابة سيوم بأرض الحبشة أي آمنون ومن سبهم غرم أي خسر.

٦- أبعد النجاشي من أراد بالصحابة سوء ولم يأخذ الرشوة على ذلك رحمته الله.

قال النجاشي كما في الحديث: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سَيُومٌ بِأَرْضِي مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمْ ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمْ فَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّْي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ قَالَتْ فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ».

٧- كان النجاشي رجلاً صالحاً باحثاً عن الحق ولم يكن مستكبراً عن الحق إذ جاءه واستنصره الصحابة فنصرهم ولم يسلمهم إلى عدوهم، قالت أم سلمة رضي الله عنها: «... فَقَرَأَ عَلَيْهِ -أي جعفر- صَدْرًا مِنْ كَهْيَعَصْ قَالَتْ فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيَخْرُجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ أَنْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أُكَادُ». وقد أسلم النجاشي أخيراً وصلى عليه رسول الله ﷺ لما مات وله شرف الصحبة ونزل في حقه ومن أسلم معه من النصارى قول الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَسِيسَاتٌ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) المائدة: ٨٢ - ٨٥.

الأمر الثالث: أن الصحابة إنما اختاروا الحبشة لما عرفوا عن النجاشي من الخير وعدم عداوته للإسلام والمسلمين وأما الآن فما من رئيس من رؤساء الكفار إلا وهو يكيد للإسلام وأهله وهذا من زمن قديم قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ النساء: ٨٩، قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه كما في الحديث: «... خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ».

الأمر الرابع: الرؤساء على بلدان الكفار لا يعرفون حقاً لأي مسلم كما قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ التوبة: ١٠، فلذا خاف الصحابة لما نوزع النجاشي في ملكة مخافة أن يأتي من يريد استضعافهم في دينهم، قالت أم سلمة رضي الله عنها: «... قَالَتْ فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنَ قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنِ حُزْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ».

فكل ما أشرنا إليه يدل على أن هجرة الصحابة إلى الحبشة كان ذلك في بداية الإسلام قبل أن يكون للمسلمين دولة ثم بعد أن استقر الإسلام وأصبحت له دول وبلدان كثيرة في أرض الله الواسعة لم يكن هجرة إلا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام وكلام الحافظ الذي قدمناه

واضح في هذا المعنى، فعلم من ذلك أن الذين يذهبون من فرنسا أو غيرها من بلاد الكفر إلى برمنجهام أو إلى غيرها من بلاد الكفار ويسمون ذلك هجرة ويعتبرون أنفسهم مهاجرين أنهم جهال وما عرفوا معنى الهجرة، وأشد منهم جهلاً الذين يفتونهم ويحثونهم على ذلك بكل سهولة فيين هجرة الصحابة إلى الحبشة وما يصنعه أولئك بعد المشرقين فنسأل الله العافية والسلامة وأن يختتم لنا بالحسنى.

### ذكر بعض فضائل الهجرة:

وفضائل الهجرة كثيرة معلومة من الكتاب والسنة منها:

- أنها قرينة الجهاد في سبيل الله، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الأنفال: ٧٢، وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ التوبة: ٢٠ - ٢٢، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوَّتَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ النحل: ٤١، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ النحل: ١١٠.
- ومنها أن من خرج مهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله وطلباً لما عنده، وترك الأوطان والأهلين والخلان، وفارق بلاده في الله ورسوله، نصرته لدين الله ثم يقتل أو يموت على فراشه من غير قتال فقد حصل على الأجر الجزيل والثناء الجميل ويحصل على الراحة وجنة النعيم لقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ لَيَدْخِلْنَّهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ الحج: ٥٨ - ٥٩.
- ومنها أن الهجرة في سبيل الله من أسباب السعة في الرزق وأن المهاجر يكون بذلك مرغماً يراغم به عدو الله وعدوه، والله يحب من وليه مراغماً عدوه وإغاظته قال الله

تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٠٠) ﴿النساء: ١٠٠ .

قال العلامة السعدي رحمه الله: هذا في بيان الحث على الهجرة والترغيب، وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغما في الأرض وسعة، فالمرام مشتمل على مصالح الدين، والسعة على مصالح الدنيا، وذلك أن كثيرا من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتاً بعد الألفة، وفقراً بعد الغنى، وذلاً بعد العزة، وشدة بعد الرخاء، والأمر ليس كذلك. انتهى من "تفسير السعدي".

قال ابن القيم رحمه الله: «فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة ولأجل هذه المراغمة حمد التبخر بين الصفين والخيلاء والتبخر عند صدقة السر حيث لا يراه إلا الله لما في ذلك من إرغام العدو وبذل محبوبه من نفسه وماله لله عز وجل وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس ومن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأول» اهـ "بدايع التفسير" (١/ ١٩٤).

• ومنها أن الهجرة لا مثل لها وقد قال النبي ﷺ لأبي فاطمة رضي الله عنه حين سأله عن عمل يستقيم عليه ويعمل به، قال له عليه الصلاة والسلام: «عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها» أخرجه النسائي وحسنه العلامة الوادعي في الجامع الصحيح.

وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» أي فقد أدرك ما نوى.

• ومنها أن الهجرة سنة أنبياء الله ورسله والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فقد هاجر خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام بزوجه هاجر وولده إسماعيل إلى مكة كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩) ﴿الصفات: ٩٩﴾، وهاجر لوط عليه السلام ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٦) ﴿العنكبوت: ٢٦﴾ وهاجر موسى إلى أرض مدين فقبل له ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥) ﴿القصص: ٢٥﴾، وقد

هاجر خير الخلق محمد ﷺ من مكة إلى المدينة وهاجر معه الصديق ﷺ وهاجر الصحابة من مكة ومن غيرها إلى المدينة قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ التوبة: ١٠٠ ، فلما هاجر الصحابة ﷺ في سبيل الله وتركوا ديارهم وأولادهم وأموالهم لله، كمل بذلك إيمانهم وحصل لهم من الإيمان التام، والجهاد العظيم، والنصر لدين الله ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم مما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما كانوا به أغنى الناس وهكذا كل من فعل فعلهم حصل له ما يحصل لهم إلى يوم القيامة. انظر "تفسير السعدي" و "إرشاد الأخيار إلى وجوب الهجرة من بلاد الكفار" لفضيلة الشيخ أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد الحجوري العمري حفظه الله

## الفصل الثالث

### التفريق بين بلد الكفر وبلد الإسلام

وكان عبيد الجابري في هذه الفتوى الضليلة لا يفرق بين بلد الكفر وبلد الإسلام وإلا فكيف يقسم باسم الله الأعظم بأن برمنجهام دار هجرة وهي في عقر دار الكافرين! لقد جئت يا جابري بشيء نكرا، وكأني أرى فيك يا جابري نكرة قرنية<sup>(١)</sup>، ولعله يظن المسكين أن مجرد حصول إقامة بعض الشرائع الإسلامية في بلد الكفار من عدد قليل من المسلمين، أن تلك البلدة تصير بذلك بلد إسلامي، وهذا لا يقول به عاقل فضلاً عما ينتسب إلى العلم وأهله.

يقول العلامة العثيمين رحمه الله: «وبلد الشرك هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل، وإنما قلنا

(١) نسبة إلى عائض القرني القرضاوي رقم اثنين وهو رجل منحرف عنده كلام ردئ يمدح فيه بلاد

الكافرين ويقبح فيه ديار المسلمين.

على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل» اهـ.

وقال الشيخ زيد بن محمد المدخلي في كتابه "طريق الوصول إلى إيضاح الثلاثة الأصول": «وديار الكفر: هي التي يعبد فيها غير الله عز وجل، ويحكم فيها بغير شرعه، ولا يستطيع المسلم أن يقيم شعائر الإسلام فيها، هذه بلدة كفر يُغزى أهلها ويجاهدون ويقاتلون حتى يكون الدين كله لله، فإذا هُزموا وتغلب الجيش الإسلامي عليهم، أخذوا أموالهم وسبوا نساءهم وذريتهم واسترقوا رقابهم غنيمة للمسلمين» اهـ.

قلت: هذا مما لا نعلم فيه خلافاً بين أهل القبلة إلا ما ذهب إليه عبيد الجابري فقال: (والله إنها دار هجرة) وهذا مذهب باطل بإجماع المسلمين.

ثم قال الشيخ زيد بن محمد المدخلي: «وبلاد الإسلام: هي التي يحكم فيها بشرع الله عز وجل وتقام فيها شعائر الدين وفي مقدمتها: توحيد رب العالمين، وقمع الشرك والمشركين، ولو حصلت فيها معاصي، ولو وجد فيه أفراد كفار، فهي بلد إسلامي ما دام الحكم فيها لشرع الله، وطُهرت من المعبودات الباطلة، وارتفعت فيها راية التوحيد وقامت فيها شعائر الدين وبنيت فيها بيوت الله الطاهرة فهي بلد إسلام على أي حال تكون» اهـ.

## الفصل الرابع

### في ذكر بعض الأضرار الحاصلة في المكث بين ظهرائي الكفار

ولا شك ولا ريب أن الأضرار في المكث بين ظهرائي الكفار كثيرة وخطيرة جداً، ومن أشدها ما يحصل على المسلمين من الإهانة والاستضعاف في دينهم حتى إن كثير منهم ارتدوا عن دينهم وصاروا من الكافرين بعد أن كانوا من الموحدين ولقد شاهدنا هذا كثيراً فاللهم سلم سلم ولا حول ولا قوة إلا بالله ولذلك نهى النبي ﷺ عن الإقامة بين ظهرائي الكفار. قال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ قَالَ «لَا تَرَأَى نَارَهُمَا». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْعَلْبَانِيُّ، وَهَذَا يَدُلُّ شِدَّةَ الْبَعْدِ بَيْنَ الدَّارَيْنِ. وَقَالَ ﷺ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً» وكل ذلك لحكمة عظيمة وسداً لذرائع الفتن من وراء مخالطة المسلمين بالكافرين.

قال الإمام السعدي رحمته الله: «فإن المؤمن ما دام بين أظهر المشركين فدينه في غاية النقص، لا في العبادات القاصرة عليه كالصلاة ونحوها، ولا في العبادات المتعدية كالجهاد بالقول والفعل، وتوابع ذلك، لعدم تمكنه من ذلك، وهو بصدد أن يفتن عن دينه، خصوصاً إن كان مستضعفاً، فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله وجهاد أعداء الله» اهـ انظر تفسير السعدي.

قال شيخ الإسلام رحمته الله كما في "مجموع الفتاوى": «وَلَا يَجُوزُ الْمَقَامُ بَيْنَ نَصَارَى أَوْ رَوَافِصَ يَمْنَعُونَ الْمُسْلِمَ عَنْ إِظْهَارِ دِينِهِ» اهـ، والسبب في ذلك أن الإقامة بين ظهراي الكفار يعتبر نوعاً من القعود والجلوس معهم وهو مظنة الردة والرضا بما هم عليه والكفر بالله عز وجل والعياذ بالله كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ النساء: ١٤٠ قال الحافظ بن كثير عند هذه الآية: «أي: إذا ارتكبتكم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه. فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ أي في المأثم» اهـ المقصود.

وقال العلامة السعدي رحمته الله عند هذه الآية: «أي: وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فصد الإيثار الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم.

وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقاً، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها

لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها.

﴿إِنَّكُمْ إِذَا﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة ﴿مِثْلَهُمْ﴾ لأنكم رضيتهم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها. اهـ

قال العلامة العثيمين رحمه الله في "شرح الأصول الثلاثة": «وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرهما عظيم على دين الإسلام، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان - والعياذ بالله - حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين ، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوى في تلك المهالك»

أقول: هكذا فليكن فتاوى أهل العلم السلفيين الناصحين الراسخين في العلم، وأما عبيد الجابري فهو من الرسخين في الجهل والبغي والعدوان فنعوذ بالله من الخذلان.

انظروا الآن العلامة العثيمين رحمه الله يرى أن الإقامة بين ظهري الكفار من المهالك وأنه ينبغي التحفظ من ذلك كما دلت عليه الأدلة وأما عبيد الجابري قبّحه الله فهو يقسم بالله أنها دار هجرة!! وهذا والله من عجائب الدهر، ولكن ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٩ و ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الرعد: ١٦ الجواب: لا. ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ المائدة: ١٠٠ ، فلا مقارنة بين فتاوى أهل العلم السلفيين وأولئك المتحزبة أمثال عبيد الجابري وعلى هذا فليبلغ الشاهد الغائب أن عبيد الجابري من الغاوين، فكان من شأنه ما قص الله في كتابه حيث قال جلّ جلاله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ﴾ الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦ .

### حكم السفر إلى بلد الكفر:

يقول العلامة العثيمين رحمه الله: «السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار» اهـ

وقال الشيخ زيد المدخلي: «السفر إلى بلاد الكفار بدون حاجة ملزمة محرم. واختيار المكث فيها كذلك، وزيادة في الشر عندما يختار الإنسان بلاد الكفر وكأنه أعمى ما تبين له سبيل الحق من سبل الباطل، فالفرار إنما يكون من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام<sup>(١)</sup> مهما كان حالها، لأن النبي ﷺ قد حذر من مجامعة المشركين، والركون إليهم، والسكنى معهم، اللهم إلا إذا ألجأته ضرورة من الضرورات، وحاجة من الحاجات التي لا تقضى إلا من ديار الكافرين، وكل ضرورة وحاجة تقدر بقدرها» اهـ

وقال شيخنا العلامة المحدث الناصح الأمين أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله: «وأنا أعتقد أن الذين يذهبون غربة في بلاد الغرب أنهم آثمون على بقاءهم وعلى ذهابهم بغير حاجة ملجئة، آثمون يذهبون ويخالطون المعاصي، ويتأثرون بالكفار بأقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم ولباسهم وأموالهم يندى لها الجبين يا إخوان، من الفساد الذي لا يستطيع تغييره» انتهى المقصود من "شرح الأربعين".

قال العلامة حمد بن عبد العزيز كما في "الدرر السنية" (٨/ ٤٢٤) وما بعدها: «من يسافر إليهم، ويعتقد إسلامهم، وربما فضلهم على المسلمين، فهذا له حكم هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ وَالْطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ﴾<sup>(٥١)</sup> أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴿﴾ الآية النساء: ٥١ - ٥٢ . وهذا يوجد من كثير، يفضل أهل الشرك، ويجادل عنهم، فهذا تجب عداوته وهجره.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۚ﴾ المائدة: ٥١، وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ

(١) وهذا رد جلي على الذين يزعمون أن الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الكفر هجرة كما قدمنا بطلان ذلك.

كَفَرُوا لَيْتَ مَا قَدَمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾  
 وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿٨١﴾ المائدة: ٨٠ -  
 ٨١، وقال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية المجادلة: ٢٢. وما أكثر هذا الضرب في الناس! فإنه يعاقب بالطبع على قلبه،  
 حتى لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، بل تراه كالمنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿الْمُنَافِقُونَ  
 وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الآية  
 التوبة: ٦٧. ومن تدبر الكتاب والسنة، عرف ذلك. وأكثر الناس يتعصب لأهل الباطل، إما  
 لأجل دنيا أو رياسة أو قرابة؛ وقد قال النبي ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنيمة، بأفسد  
 لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». والفقيه الذي ينزل نصوص الكتاب والسنة  
 على الواقع، فينفذ الحكم فيهم على وفق النص، ولا يقدم عادة الناس أو حظوظ نفسه، أو  
 الخوف من أذاهم، فيداهن في دين الله فيهلك مع الهالكين؛ والله المستعان، وعليه التكلان،  
 وهو حسبنا ونعم الوكيل» اهـ المقصود.

ثم إن شدة عداوة الكافرين لعباد الله المؤمنين معلوم. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ  
 عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المائدة: ٨٢، وقال: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ  
 بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ البقرة: ١٠٥، وقال: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي  
 مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ التوبة: ١٠، وقال: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي  
 الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ  
 عَدُوًّا مُبِينًا﴾ النساء: ١٠١، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ  
 دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ  
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: ١١٨، وأدلة القرآن والسنة في هذا المعنى  
 كثيرة جداً.

قال العلامة العثيمين رحمه الله في "شرح رياض الصالحين": «ونحن مأمورون بأن نغيظ الكفار  
 بكل ما نستطيع، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَنِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ  
 الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ١٢٣، وقال تعالى:

﴿وَلَا يَطْغَوْا مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُوا مِنَّ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢٠) التوبة: ١٢٠.

فالكافر أيا كان، سواء كان من النصارى، أو من اليهود، أو من الملحدين، وسواء تسمي بالإسلام أم لم يتسم بالإسلام، الكافر عدو لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين جميعاً، مهما تلبس بما تلبس به؛ فإنه عدو» اهـ

### من أعظم أسباب التخاذل عن الهجرة:

قال العلامة الألباني رحمته الله: «وإن مما يؤسف له أشد الأسف أن الذين يسلمون في العصر الحاضر - مع كثرتهم والحمد لله - لا يتجاوبون مع هذا الحكم من المفارقة، وهجرتهم إلى بلاد الإسلام، إلا القليل منهم، وأنا أعزو ذلك إلى أمرين اثنين:

الأول: تكالبهم على الدنيا، وتيسر وسائل العيش والرفاهية في بلادهم بحكم كونهم يعيشون حياة مادية ممتعة، لا روح فيها، كما هو معلوم، فيصعب عليهم عادة أن ينتقلوا إلى بلد إسلامي قد لا تتوفر لهم فيه وسائل الحياة الكريمة في وجهة نظرهم.

والآخر - وهو الأهم - : جهلهم بهذا الحكم، وهم في ذلك معذورون، لأنهم لم يسمعوا به من أحد من الدعاة الذين تذاع كلماتهم مترجمة ببعض اللغات الأجنبية، أو من الذين يذهبون إليهم باسم الدعوة لأن أكثرهم ليسوا فقهاء وبخاصة منهم جماعة التبليغ، بل إنهم ليزدادون لصوقاً ببلادهم، حينما يرون كثيراً من المسلمين قد عكسوا الحكم بتركهم لبلادهم إلى بلاد الكفار! فمن أين لأولئك الذين هداهم الله إلى الإسلام أن يعرفوا مثل هذا الحكم والمسلمون أنفسهم مخالفون له؟! ألا فليعلم هؤلاء هؤلاء أن الهجرة ماضيه كالجهد، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل »، وفي حديث آخر: « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » اهـ (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/ ٨٤٧ - ٨٤٩)

قلت: وإن من أسباب بقاء كثير من المسلمين في بلاد الكفار وعدم السعي في الانتقال منها هو سبب فتاوى أهل البدع مثل عبيد الجابري ومن جرى مجراه من غشاشين للإسلام والمسلمين، ونسأل الله التوفيق والعافية.

قال ابن حزم: «إن كان لا يقدر على الخروج من هنالك لثقل ظهر أو لقلّة مال أو لضعف جسم أو لامتناع طريق فهو معذور، فإن كان هنالك محارباً للمسلمين معينا للكفار بخدمة

أو كتابة فهو كافر وإن كان إنما يقيم هنالك لدنيا يصيبها وهو كالذمي لهم وهو قادر على اللحاق بجمهرة المسلمين وأرضهم فما يبعد عن الكفر وما نرى له عذرا ونسأل الله العافية» اهـ "المحلّى" (١٤ / ٦٧)

### فائدة:

قال الإمام النووي: «قال ابن العربي: قسم العلماء الذهاب في الأرض قسمين: هرباً، وطلباً، فالأول ينقسم إلى ستة أقسام:

الأول: الهجرة وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وهي باقية إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح في قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» هي القصد إلى رسول الله ﷺ حيث كان.

الثاني: الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: «لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السلف».

الثالث: الخروج من أرض يغلب عليها الحرام فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم. الرابع: الفرار من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله تعالى أرخص فيه، فإذا خشي على نفسه في مكان فقد أذن الله تعالى له في الخروج عنه، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور. وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام حيث خاف من قومه فقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ العنكبوت: ٢٦. اهـ من "شرح الأربعين النووي في الأحاديث الصحيحة النبوية".

فائدة في حكم السفر من بلد إسلامي يقام فيها شعائر الله إلى بلد إسلامي غلب عليها المعاصي:

سئل العلامة الفوزان: ما حكم السفر إلى بلاد إسلامية لا يؤمر فيها بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وتُباع فيها الخمر والأغاني، وفيها التبرج والاختلاط، بغرض التزهة والسياحة؟

فأجاب - حفظه الله -: البلد غير الملتزم والتي فيها الفواحش والشرور علانية، ولا يجوز للإنسان أن يسافر إليها، لأنه يتأثر بما فيها من الشر، ويصيبه ما أصاب أهلها. اهـ

قلت: إذا كان هذا في حق بلد إسلامي فما ظنك ببلد الكفار!! نسأل الله العافية والسلامة.

## الفصل الخامس

### نبذة مختصرة في معرفة الأرض المقدسة التي أمر فضيلة الشيخ عبيد الجابري أهل أوروبا أن يهاجروا إليها

فهي مدينة برمنجهام، أحد المدن في دولة بريطانيا الكافرة، وهي مدينة كبيرة، سكانها نحو (٧٧٧٥٦٨) نسمة وتبلغ مساحتها نحو (٤٠٧٤) ميل مربع، وهي أرض سوء فيها جميع القبائح والمنكرات، ظلمات بعضها فوق بعض بل كل بلاء فيها، من الشرك فما دونه، كيف لا يكون كذلك وهي بلاد كفر وشرك والعياذ بالله فأماكن الشركات موجودة بكثرة سواء كانت من معابد النصارى أو اليهود أو الوثنيين وعباد الأصنام والفروج أو غيرهم من المشركين الكفرة، هي موجودة في تلك المدينة والمسلمون فيها قلة جداً، فنسبتهم في تلك المدينة التي أصبحت دار هجرة نحو ٢.٢ بالمائة وفيها ما يقارب عشرة مساجد وجلها لغلاة الصوفية من البريلوية والديوبندية وبقيتها للحزبيين منهم جمعية أهل الحديث أصحاب صهيبي حسن الحزبي، وهناك كنيسة بجوار هذا المسجد الذي يدعوا إليه عبيد الجابري حتى إنه إذا جاء يوم الأحد تسمع صياحاتهم الشريكة من داخل المسجد.

وأما أماكن الفواحش والفساد دون الشرك فحدث ولا حرج، من مشارب الخمر<sup>(١)</sup> وأماكن الزنا والفجور بشتى أنواعها فكثير جداً على حسب ما يذكره معروفوها على سبيل الافتخار بذلك وكذلك توجد فيها أندية كثيرة خاصة باللواط بكل وضوح جهاراً نهاراً دون أي نكير ويضاف إلى ذلك أماكن القمار الميسر والموسيقى وديسكو، ومع هذا كله يقول بلال ديفس -أحد المخدولين في المكتبة السلفية زعموا- : والله ورب الكعبة إنك لو تجولت المجتمعات كلها في بلاد الغرب وغيرها لاستصعبت أن تجد مجتمع مثل هذا المجتمع عندنا في برمنجهام ولا ينبغي كفران مثل هذه النعمة. اهـ بمعناه.

أقول: غلو! غلو!! غلو!!!، ولعل هذا المخبول استفاد هذه الأيمان الفاجرة من شيخه الجابري، وكأنه لم يكن في بلاد الكفر حين تكلم بهذا الهذيان بل وكأنه يتكلم عند الكعبة في بيت الله المحرم، وهذا يدل على أن هؤلاء قد وطنوا أنفسهم في بلاد الكفر وركنوا إلى

(١) وأيضاً تجد من هذا بجوار المسجد السلفي بدار الهجرة - زعموا-.

الكفار، ومع ذلك فهم يحذرون من دار الحديث بدماج ويخذلون من أراد السفر إليها وهم ليسوا حول الهجرة أبداً، ولا يدعون إليها وكأنهم لا يرون وجوبها، وقد كان النبي ﷺ يأمر من أسلم بالتحول من دار الكفر إلى دار الإسلام كما ثبت ذلك في عدة أحاديث، منها ما كتبه رسول الله ﷺ لِبَنِي زُهَيْرِ بْنِ أَيْشٍ وَهُمْ حَيٌّ مِنْ عُكْلٍ: «إِنَّكُمْ إِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَفَارَقْتُمُ الْمُشْرِكِينَ وَأَعْطَيْتُمُ الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ ثُمَّ سَهَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّفِيُّ وَرُبَّمَا قَالَ وَصَفِيَّ فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَمَانِ رَسُولِهِ» أخرجه أحمد وهو في "الصحيح المسند" للعلامة الوادعي، وذكره أيضاً العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة"، وعلق عليه بتعليق نفيس فقال رحمه الله: في هذا الحديث بعض الأحكام التي تتعلق بدعوة الكفار إلى الإسلام، من ذلك: أن لهم الأمان إذا قاموا بما فرض الله عليهم، ومنها: أن يفارقوا المشركين ويهاجروا إلى بلاد المسلمين. وفي هذا أحاديث كثيرة، يلتقي كلها على حض من أسلم على المفارقة، كقوله ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، لا تترأى نارهما»، وفي بعضها أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترط على بعضهم في البيعة أن يفارق المشرك. وفي بعضها قوله ﷺ: «لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعد ما أسلم عملاً، أو يفارق المشركين إلى المسلمين». إلى غير ذلك من الأحاديث. اهـ

فهذه هي برمنجهام أيها القارئ التي أصبحت دار هجرة عند عبيد الجابري، فأهلاً وسهلاً بكم يا أهل أوروبا إلى دار الهجرة!! كلا، بلا يهاجر إليها إلا من هو من أفجر الناس، وقبح الله عبيد الجابري.

فمن قبحه أنه بمقابل هذه الخذيلة يحذر من دار الحديث بدماج في اليمن تلکم البلدة الطيبة دار النقاء والصفاء دار الفرقة الناجية التي يأوي إليها كل محب للدعوة السلفية، دار الحديث بدماج التي يذكر فيها اسم الله كثيراً ويعظم ويعلم فيها شعائر رب العالمين وليس فيها إلا طلاب علم الوافدون من كل مكان، وفيها دعاة إلى الله وفيهم علماء ومشايخ، ومدرسون ومحققون وقراء وكتّاب وباحثون وعابدون ساجدون راکعون، ومستغفرون في الأسفار، فيتلون كتاب الله آناء الليل وآناء النهار ويخافون عذابه ويرجون ثوابه، ومع ذلك كله عبيد الجابري يرى أن هذا المكان يجب الفرار منه!! وأما برمنجهام تلك الأرض الخبيثة الظالم أهلها فهي إنها والله دار هجرة!! ألم أقل لكم أن هذا الرجل عنده نكرة قرنية القرضاوي رقم

اثنين، انظر إلى ما قال الجابري في تحذيره من دار الحديث بدماج، حيث قال: فإني أوجه نصحي لأربع فئات من الناس:

الفئة الأولى: من في مركز دماج، نصحي لهم أن يغادروه - أي الشيخ يحيى - وأن يلتحقوا بمراكز أخرى...

الفئة الثانية: حراسه... أنصحهم أن يضعوا أسلحتهم وأن يرفعوا أيديهم... إلى آخر كلامه الساقط.

الفئة الثالثة: عصابة الشيخ مقبل من وادعة... أنصحهم أن يرفعوا الأمر إلى ولاية الأمور... إلى آخر كلامه الهُجْر...

الرابعة: فئة الوافدين إلى اليمن والذين يتشوقون إلى العلم... أنصحهم أن لا يفدوا على مركز دماج... إلى آخر كلامه البشع. راجع شريط بعنوان "الأجوبة الجابرية على الأسئلة العراقية"

أقول: ظاهر الكلام الذي نطق به هذا الرجل يفضل برمنجهام التي قد عرفت حالها على دار الحديث السلفية بدماج وعلى هذا فهو أشد حالاً من القرني المفتون بحب الكفار، وإن لم يكن أمره كذلك فهو إذاً على أقل الأحوال صاحب هوى فيفتي على حسب شهواته وأغراضه النفسية وعلى حسب ما يناسب هواه أو حزبه الجديد.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ وَالْإِفْتَاءُ فِي دِينِ اللَّهِ بِالتَّشْهِي وَالتَّخْيِيرِ وَمُوَافَقَةِ الْغَرَضِ فَيَطْلُبُ الْقَوْلَ الَّذِي يُوَافِقُ غَرَضَهُ وَغَرَضَ مَنْ يُجَابِيهِ فَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُفْتِي بِهِ، وَيَحْكُمُ بِهِ، وَيَحْكُمُ عَلَى عَدُوِّهِ وَيُفْتِيهِ بِضَدِّهِ، وَهَذَا مِنْ أَفْسَقِ الْفُسُوقِ وَأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» اهـ من "إعلام الموقعين"، سبحانه الله أليس هذا عين ما يصنعه عبيد الجابري الآن.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٤٧): فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُخْبِرُ عَنْ هَذِهِ الْفِرْقِ بِحُكْمِ الظَّنِّ وَالْهَوَى فَيَجْعَلُ طَائِفَتَهُ وَالْمُنْتَسِبَةَ إِلَى مَتَبُوعِهِ الْمُوَالِيَةَ لَهُ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ وَيَجْعَلُ مَنْ خَالَفَهَا أَهْلَ الْبِدْعِ وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ.

فأنا والله لا أدري أي ميزان يحكم به هذا السفية وربنا جل وعلا يقول: ﴿أَفَجَعَلَ الْمُتْسِلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۚ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۚ ﴿٣٦﴾﴾ القلم: ٣٥-٣٦، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۚ ﴿٢٨﴾﴾ ص: ٢٨.

فالحاصل أن الرجل شبه مسلوب العقل وهو على ركة في دينه؛ والسبب في ذلك ما نقل عن سعيد بن عنبسة كما في "الإبانة" حيث قال: «ما ابتدع رجل بدعة إلى غل صدره على المسلمين واختلجت منه الأمانة» فقد أصبحت له غيظ شديد على أهل السنة خاصة من كان في دار الحديث بدماج وهذا خلاف صفات المؤمنين الذين: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۚ ﴿١٠﴾﴾ الحشر: ١٠، وقال ابن عون: «ما ابتدع رجل بدعة إلا أخذ الله منه الحياء وركب فيه الجفاء»، وقال فضيل: «لا يزال العبد مستوراً حتى يرى قبيحه حسناً» انظر "الإبانة" لابن بطة. وقد صدق شيخنا - حفظه الله - إذ يقول فيه: «حزبي محترق»، فلا حول ولا قوة إلا بالله ونعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

## الفصل السادس

### عبيد الجابري لا يصلح للفتوى وبيان ما تضمنت هذه الفتوى من المفاصد والمهالك

وقد صدق شيخنا - حفظه الله - إذ يقول: «عبيد الجابري لا يصلح للفتوى؛ فهو أحمق، وعنده خصلة من خصال النفاق؛ فإنه إذا خاصم فجر، وهو وضاع يقبل من الكذابين». اهـ. فهذه الفتوى التي أفتى بها عبيد الجابري لأهل أوروبا تضمنت مفاصد كثيرة وإضرار خطيرة على المفتي والمستفتي وكل ذلك يدل على أن الرجل لا يصلح للفتوى ولا هو يحسن ذلك ولا ينبغي أن يُستفتى ومن استفتاه فقد ذبح نفسه بغير سكين وكما قيل: «من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب» وهذه الفتوى من عجائب الدهر والإقرار بها حرام.

قال ابن القيم رحمه الله: «مَنْ أَفْتَى النَّاسَ وَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِلْفَتْوَى فَهُوَ أَثَمٌ عَاصٍ، وَمَنْ أَقَرَّهُ مَنْ وُلَاةِ الْأُمُورِ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ أَثَمٌ أَيْضًا.

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَلْزَمُ وَلِيَّ الْأَمْرِ مَنْعُهُمْ كَمَا فَعَلَ بَنُو أُمَيَّةَ ، وَهَؤُلَاءِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَدُلُّ الرِّكَبَ ، وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِالطَّرِيقِ ، وَبِمَنْزِلَةِ الْأَعْمَى الَّذِي يُرْشِدُ النَّاسَ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَبِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِالطَّبِّ وَهُوَ يَطْبُّ النَّاسَ ، بَلْ هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ ، وَإِذَا تَعَيَّنَ عَلَى وَلِيَّ الْأَمْرِ مَنْعٌ مَنْ لَمْ يُحْسِنِ التَّطَبُّبَ مِنْ مُدَاوَاةِ الْمَرْضَى ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَلَمْ يَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ ؟» اهـ من "إعلام الموقعين" (١٠٩)

قال مالك كما نقل عنه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١٤٦/٢): «من سعادة المرء أن يوفق للصواب والخير ومن شقوة المرء أن لا يزال يخطئ» اهـ

وقال محمد بن سلمة على ما ذكره عنه إسماعيل بن قاضي كما نقله عنه ابن عبد البر في المصدر السابق: «إنما على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأي»

وقال: «وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسنة ولا ما مضى عليه أولو الأمر أن يجتهد لأنه لا يجوز أن يجتهد رأيه فيكون اجتهاده مخالفا للقرآن والسنة أو الأمر المجمع عليه» اهـ

❏ وإن من أعظم ما تضمنت فتوى الجابري من الإفساد في الدين والإضلال هو التقول على الله وعلى شرعه بغير علم:

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي الْفُتْيَا وَالْقَضَاءِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَرَّمَاتِ ، بَلْ جَعَلَهُ فِي الْمُرْتَبَةِ الْعُلْيَا مِنْهَا ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣) الأعراف: ٣٣ فَرَتَّبَ الْمُحَرَّمَاتِ أَرْبَعَ مَرَاتِبَ ، وَبَدَأَ بِأَسْهَلِهَا وَهُوَ الْفَوَاحِشُ ، ثُمَّ ثَنَى بِمَا هُوَ أَشَدُّ تَحْرِيمًا مِنْهُ وَهُوَ الْإِثْمُ وَالظُّلْمُ ، ثُمَّ ثَلَّثَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ تَحْرِيمًا مِنْهُمَا وَهُوَ الشُّرْكُ بِهِ سُبْحَانَهُ ، ثُمَّ رَبَعَ بِمَا هُوَ أَشَدُّ تَحْرِيمًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَهُوَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ بِمَا لَا عِلْمَ ، وَهَذَا يَعُمُّ الْقَوْلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِمَا لَا عِلْمَ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَفِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (١١٦) النحل: ١١٦ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ بِالْوَعِيدِ عَلَى الْكَذِبِ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ ، وَقَوْلِهِمْ لِمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ: هَذَا حَرَامٌ ، وَلِمَا لَمْ يَحِلِّهُ: هَذَا

حَلَالٌ ، وَهَذَا بَيَانٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ : هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ إِلَّا بِمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَحَلَّهُ وَحَرَّمَهُ» اهـ من "إعلام الموقعين"

فعبيد الجابري رويضة يتكلم في أمور العامة بغير علم وهذا من المهالك.

يقول ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين": «إذا نزلت بِالْحَاكِمِ أَوْ الْمُفْتِيِ النَّازِلَةُ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْحَقِّ فِيهَا أَوْ غَالِبًا عَلَى ظَنِّهِ بِحَيْثُ قَدْ اسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ فِي طَلَبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، أَوْ لَا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِالْحَقِّ فِيهَا وَلَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يُفْتِيَ ، وَلَا يَقْضِيَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ، وَمَتَى أَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِعُقُوبَةِ اللَّهِ - إلى قوله - وَإِنْ كَانَ قَدْ عَرَفَ الْحَقَّ فِي الْمَسْأَلَةِ عِلْمًا أَوْ ظَنًّا غَالِبًا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يُفْتِيَ وَلَا يَقْضِيَ بِغَيْرِهِ بِالْإِجْمَاعِ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْقَضَاةِ الثَّلَاثَةِ وَالْمُفْتِينَ الثَّلَاثَةِ وَالشُّهُودِ الثَّلَاثَةِ ، وَإِذَا كَانَ مَنْ أَفْتَى أَوْ حَكَمَ أَوْ شَهِدَ بِغَيْرِ عِلْمٍ مُرْتَكِبًا لِأَعْظَمِ الْكِبَائِرِ ، فَكَيْفَ مَنْ أَفْتَى أَوْ حَكَمَ أَوْ شَهِدَ بِمَا يَعْلَمُ خِلَافَهُ ؟ - إلى قوله - فَمَنْ أَخْبَرَ مِنْهُمْ عَمَّا يَعْلَمُ خِلَافَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ عَلَى اللَّهِ عَمْدًا ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ ﴾ الزمر: ٦٠ ، وَلَا أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى دِينِهِ ، وَإِنْ أَخْبَرُوا بِمَا لَمْ يَعْلَمُوا فَقَدْ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ جَهْلًا ، وَإِنْ أَصَابُوا فِي الْبَاطِنِ ، وَأَخْبَرُوا بِمَا لَمْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْإِخْبَارِ بِهِ - إلى أن قال - وَالْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ يَسْتَلْزِمُ التَّكْذِيبَ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقَ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ هود: ١٨.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَإِنْ كَانَتْ فِي حَقِّ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَافَرِ فَإِنَّهَا مُتَنَاوِلَةٌ لِمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ فِي تَوْحِيدِهِ وَدِينِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَلَا تَتَنَاوَلُ الْمُخْطِئُ الْمَأْجُورَ إِذَا بَدَلَ جَهْدَهُ وَاسْتَفْرَغَ وَسْعَهُ فِي إِصَابَةِ حُكْمِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَلَا يَتَنَاوَلُ الْمُطِيعَ لِلَّهِ وَإِنْ أَخْطَأَ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ» اهـ

☒ ومما تضمنت هذه الفتوى من الإفساد: الغش وعدم النصح وكتمان العلم:

فهذا كلام الجابري في مسألة الهجرة قديماً قبل أن يتحزب كما في كتابه "إتحاف العقول شرح الأصول الثلاثة" قال: «وهي فريضة محكمة لم تنسخ، وتجب على المسلم إذا كان في بلد من

بلاد الكفار لا يأمن فيه على دينه وعرضه، أما إذا كان يأمن على دينه وعرضه فهي ليست واجبة عليه ولكنها سنة، الأولى أن يهاجر المسلم من الكفار إلى بلاد الإسلام اهـ

هكذا كان يقول عبيد قبل أن يتلون في دينه فلما تحزب وصار مفتوناً كتم ما عرفه من الحق، وقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة عند أبي داود أنه قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَجْمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وهذه الأفعال من صفات اليهود. قال تعالى: ﴿يَتَأْهَلَّ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوكَ الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧١﴾ آل عمران: ٧١، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾ آل عمران: ١٨٧.

وقال عامر بن عبد الله كما في "الإبانة" لابن بطة: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بَدْعَةً إِلَّا أَتَى غَدًا بِهَا كَانَ يُنْكِرُهَا الْيَوْمَ».

☒ ومما تضمن هذه الفتوى من الزيغ والضلال: إتباع الهوى وعدم الانضباط مع الأدلة:

وقال ابن عون: «إِذَا غَلَبَ الْهَوَى عَلَى الْقَلْبِ اسْتَحْسَنَ الرَّجُلُ مَا كَانَ يَسْتَقْبِحُهُ» انظر "الإبانة".

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «يَنْبَغِي لِلْمُفْتِي أَنْ يَذْكُرَ دَلِيلَ الْحُكْمِ وَمَا أَخَذَهُ مَا أَمَكَّنَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يُلْقِيهِ إِلَى الْمُسْتَفْتِي سَادَجًا مُجَرَّدًا عَنْ دَلِيلِهِ وَمَا أَخَذَهُ؛ فَهَذَا لِضَيْقِ عَطَنِهِ وَقِلَّةِ بَضَاعَتِهِ مِنَ الْعِلْمِ» اهـ

☒ ومما تضمنت هذه الفتوى من المهالك: عدم الأمانة والتورع عن التسرع في الفتوى:

قال الأوزاعي كما في "الإبانة" لابن بطة: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بَدْعَةً إِلَّا سَلَبَ وَرْعَهُ».

يقول ابن القيم رحمه الله كما في "إعلام الموقعين": «وَكَانَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ يَكْرَهُونَ التَّسْرُعَ فِي الْفَتَوَى، وَيُودُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكْفِيَهُ إِيَّاهَا غَيْرُهُ: فَإِذَا رَأَى بِهَا قَدْ تَعَيَّنَتْ عَلَيْهِ بَذَلُ اجْتِهَادِهِ فِي مَعْرِفَةِ حُكْمِهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ قَوْلِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ثُمَّ أَفْتَى» اهـ

✘ وإن مما تضمنت هذه الفتوى من المفاصد العظيمة: التهاون والتساهل في خطر تولى الإفتاء:

قال النبي ﷺ: «الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَى فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ» أخرجه أبو داود عن أبي بريدة.

وثبت عنه أيضاً من حديث أبي هريرة أنه قال: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه أطلقه الحق أو أوبقه» أخرجه الدارمي.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: وَيُلْ لِدَيَّانِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دَيَّانِ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ ، إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِالْعَدْلِ ، وَقَضَى بِالْحَقِّ ، وَلَمْ يَقْضِ عَلَى هَوَى ، وَلَا عَلَى قَرَابَةٍ ، وَلَا عَلَى رَغَبٍ وَلَا رَهَبٍ ، وَجَعَلَ كِتَابَ اللَّهِ مِرَاةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ . اهـ انظر "إعلام الموقعين" ص ٣٨

ثم إن خطر المفتي أشد من خطر القاضي كما أبانه ابن القيم في إعلام الموقعين حيث قال: «فَكُلُّ خَطَرٍ عَلَى الْمُفْتِيِّ فَهُوَ عَلَى الْقَاضِي ، وَعَلَيْهِ مِنْ زِيَادَةِ الْخَطَرِ مَا يَخْتَصُّ بِهِ ، وَلَكِنْ خَطَرُ الْمُفْتِيِّ أَكْبَرُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ؛ فَإِنَّ فَتْوَاهُ شَرِيعَةٌ عَامَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَفْتِي وَغَيْرِهِ وَأَمَّا الْحَاكِمُ فَحُكْمُهُ جُزْئِيٌّ خَاصٌّ لَا يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِ الْمُحْكُومِ عَلَيْهِ وَلَهُ ؛ فَالْمُفْتِيُّ يُفْتِي حُكْمًا عَامًّا كُلِّيًّا أَنَّ مَنْ فَعَلَ كَذَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ كَذَا ، وَمَنْ قَالَ كَذَا لَزِمَهُ كَذَا ، وَالْقَاضِي يَقْضِي قَضَاءً مُعَيَّنًا عَلَى شَخْصٍ مُعَيَّنٍ ، فَقَضَاؤُهُ خَاصٌّ» اهـ

فتولي الإفتاء مسؤولية عظيمة ليست بهينة وأنت مسئول عنها يوم القيامة للأدلة التي أشرنا إلى بعضها وبالله التوفيق.

✘ وفي هذه الفتوى من المفاصد إضلال الناس وصددهم عن سبيل الله:

فإن من أخذ بهذه الفتوى يخشى عليه من الردة والزندقة ويخشى عليه أن يكون من الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ أَكْمَلَتْنَا ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ النساء: ٩٧ أي: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ بل كثرتم سوادهم، وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم الخير الكثير، والجهاد مع رسوله، والكون مع المسلمين، ومعاونتهم على أعدائهم.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ النساء: ٩٧ أي: ضعفاء مقهورين مظلومين، ليس لنا قدرة على الهجرة. وهم غير صادقين في ذلك لأن الله وبخهم وتوعدهم، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، واستثنى المستضعفين حقيقة.

ولهذا قالت لهم الملائكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ النساء: ٩٧ وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعاً وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ﴾ (٥٦) العنكبوت: ٥٦ قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١٧) النساء: ٩٧. انظر "تفسير السعدي"

❏ وما تضمنت هذه الفتوى من الزيع والضلال: التقديم بين يدي الله ورسوله:

وهذا واضح إذ أن هذه الفتوى لا تؤيدها شيء مما جاءنا عن الله وعن رسوله ﷺ.

يقول ابن القيم رحمه الله كما في "الإعلام": «وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانفَعُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) الحجرات: ١ أي لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمراً حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضيه، رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَرَوَى الْعَوْفِيُّ عَنْهُ قَالَ: هُؤُلَاءِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ كَلَامِهِ.

وَالْقَوْلُ الْجَامِعُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ لَا تَعْجَلُوا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ يَفْعَلَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢) الحجرات: ٢ فَإِذَا كَانَ رَفْعُ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ سَبَبًا لِحُبُوطِ أَعْمَالِهِمْ فَكَيْفَ تَقْدِيمُ آرَائِهِمْ وَعُقُوبُهُمْ وَأَذْوَابِهِمْ وَسَيَاسَاتِهِمْ وَمَعَارِفِهِمْ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ وَرَفْعُهَا عَلَيْهِ؟ أَلَيْسَ هَذَا أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مُحْبِطًا لِأَعْمَالِهِمْ؟

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (النور: ٦٢) فَإِذَا جُعِلَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ أَنَّهُمْ لَا يَذْهَبُونَ مَذْهَبًا إِذَا كَانُوا مَعَهُ إِلَّا

بِاسْتِثْنَائِهِ فَأُولَى أَنْ يَكُونَ مِنْ لَوَازِمِهِ أَنْ لَا يَذْهَبُوا إِلَى قَوْلٍ وَلَا مَذْهَبٍ عِلْمِيٍّ إِلَّا بَعْدَ اسْتِثْنَائِهِ ، وَإِذْنُهُ يُعَرَفُ بِدَلَالَةِ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى أَنَّهُ أَذِنَ فِيهِ» اهـ

✧ وإن مما صدر من عبيد الجابري في هذه الفتوى: عدم التقوى من الله وعدم التقيد بالعلم والإفتاء بالرخص المحرمة:

قال الإمام الذهبي في وصف مراتب العلماء: «وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبا لهم، فما هؤلاء بعلماء! وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص» اهـ المقصود انظر "سير أعلام النبلاء" (١٥٣/٧).

✧ هذه الفتوى لم يفت بها على علم ونور وهدى بل على هوى والرأي المتضمن لمخالفة النصوص:

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٠﴾ القصص: ٥٠، قال ابن القيم: «فَقَسَمَ الْأَمْرَ إِلَى أَمْرَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا ، إِمَّا الْإِسْتِجَابَةَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ ، وَإِمَّا اتِّبَاعَ الْهَوَى ، فَكُلُّ مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الرَّسُولُ فَهُوَ مِنَ الْهَوَى .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٣٦﴾ ص: ٢٦ ، فَقَسَمَ سُبْحَانَهُ طَرِيقَ الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ وَهُوَ الْوَحْيُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى الْهَوَى وَهُوَ مَا خَالَفَهُ .

وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ الجاثية: ١٨ - ١٩ ، فَقَسَمَ الْأَمْرَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَعَلَهُ هُوَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهَا وَأَوْحَى إِلَيْهِ الْعَمَلُ بِهَا وَأَمْرَ الْأُمَّةِ بِهَا وَبَيَّنَّ اتِّبَاعَ أَهْوَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؛ فَأَمَرَ بِالْأَوَّلِ ، وَنَهَى عَنِ الثَّانِي « انتهى المقصود من "إعلام الموقعين" .

وأقول: إن هذه الفتوى من عبيد الجابري تدل على أننا في زمان قل فيه العلماء الناصحون الذين يعملون بعلمهم ويوجهون الأمة ويدلون على طريق الحق والهدى وأنه كثر الجهل وأهله كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَلًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

وعلى هذا فإن عبيد الجابري من الدعاة على أبواب جهنم الذين حذرنا منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

✚ فحذار حذار أيها المسلم أن تغتر بتلاعبات عبيد الجابري فإن مثل هذه الفتوى لا تطمئن إليها قلوب الصالحين:

ولذا يقول ابن القيم رحمته الله: «لَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِمُجَرَّدِ فَتْوَى الْمُفْتِي إِذَا لَمْ تَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ، وَحَاكَ فِي صَدْرِهِ مِنْ قَبُولِهِ، وَتَرَدَّدَ فِيهَا؛ لِقَوْلِهِ عليه السلام: «اسْتَفْتِ نَفْسَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ» فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَفْتِيَ نَفْسَهُ أَوَّلًا، وَلَا تَخْلُصُهُ فَتْوَى الْمُفْتِي مِنَ اللَّهِ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ فِي الْبَاطِنِ بِخِلَافِ مَا أَفْتَاهُ، كَمَا لَا يَنْفَعُهُ قَضَاءُ الْقَاضِي لَهُ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذْهُ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ» وَالْمُفْتِي وَالْقَاضِي فِي هَذَا سَوَاءٌ، وَلَا يَطْنُ الْمُسْتَفْتِي أَنَّ مُجَرَّدَ فَتْوَى الْفَقِيهِ تُبِيحُ لَهُ مَا سَأَلَ عَنْهُ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِهِ فِي الْبَاطِنِ، سَوَاءٌ تَرَدَّدَ أَوْ حَاكَ فِي صَدْرِهِ، لِعِلْمِهِ بِالْحَالِ فِي الْبَاطِنِ، أَوْ لَشَكِّهِ فِيهِ، أَوْ لَجَهْلِهِ بِهِ، أَوْ لِعِلْمِهِ جَهْلَ الْمُفْتِي أَوْ مُحَابَاتِهِ فِي فَتْوَاهُ أَوْ عَدَمَ تَقْيِيدِهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ بِالْفَتْوَى بِالْحِيلِ وَالرَّخْصِ الْمُخَالَفَةِ لِلْسُّنَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنَ الثِّقَةِ بِفَتْوَاهُ وَسُكُونِ النَّفْسِ إِلَيْهَا؛ فَإِنْ كَانَ عَدَمُ الثِّقَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ لِأَجْلِ الْمُفْتِي يَسْأَلُ ثَانِيًا وَثَالِثًا حَتَّى تَحْصَلَ لَهُ الطَّمَأْنِينَةُ؛ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَالْوَاجِبُ تَقْوَى اللَّهِ بِحَسَبِ الْإِسْطِطَاعَةِ» اهـ من "الإعلام"

وقال الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رحمه الله: وأما المستفتي فلا يجوز أن يستفتي من شاء على الإطلاق لأنه ربما استفتي من لا يعرف الفقه بل يجب أن يتعرف حال الفقيه في الفقه والأمانة. اهـ المقصود من "اللمع في أصول الفقه" (ص ١٢٨)

يقول ربنا عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أُولِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣) هود: ١١٣ ، و عبيد الجابري إن لم يتب من هذه الفتوى وغيرها من مجموع فتاواه الضليلة فهو سيحمل أوزار الذين يضلُّهم بغير علم كما قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِن أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٢٥) النحل: ٢٥.

ومن هنا علم أن المتكلمين في عبيد الجابري والمحذرين منه، هم في الحقيقة أرحم الناس به إذ أنهم يخففون عنه أوزاراً وأن الساكتين عنه والمتعصبين له ليسوا من الناصحين له ولا للإسلام والمسلمين فيما يخص بحاله من التلاعبات في الدين.

والحق أن عبيد الجابري في هذه الآونة الأخيرة صار من رؤوس حملة لواء الحزية والتفرق فكان من شأنه ما ذكره رسول الله ﷺ حيث قال: «دُعَاةُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» متفق عليه عن حذيفة بن يمان رضي الله عنه.

## الفصل السابع

### نصح أمين لأهل أوروبا خاصة وسكان ديار الكفر عامة

وأما نصحي لإخواني السلفيين في أوروبا وخصوصاً إخواني في بريطانيا وفقني الله وإياهم إلى سلوك سبل السلام والتماس رضوان رب العالمين فإني أذكرهم بالله الذي أوجدهم من عدم وخلقهم لعبادته، وإنهم إليه يرجعون قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) المؤمنون: ١١٥، وقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١) البقرة: ٢٨١، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٥٧) العنكبوت: ٥٧، وقال: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢١) فصلت: ٢١، وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُٗٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٧) العنكبوت: ١٧، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِٗ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥) الجاثية: ١٥، وقال: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِٖ﴾ (٦) فَمَا مِنْ أَوْتَىٰ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَنَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أَوْتَىٰ كِتَابَهُ، وَرَأَىٰ ظَهْرَهُ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) الانشقاق: ٦ - ١٢، وفي

الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ .»

وكذلك أنصحهم في أمور منها:

#### ١ - الاهتمام بطلب العلم والتفقه في الدين:

فإنه ليس لأحد سبيل لامتثال ما خلقه الله لأجله إلا بتعلم دين الله ابتداءً بالعقيدة الصحيحة لقول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) ﴿الكهف: ١١٠﴾، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) ﴿لا شريك لله، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (١١٣) ﴿الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣﴾، ولقول النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرِكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ» رواه مسلم عن أبي هريرة، ثم أنا أنصح نفسي وإياهم بحفظ كتاب الله المبارك بالتدبر والعمل به قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا مُصَدِّقًا الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢) ﴿الأنعام: ٩٢﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ (٢٩) ﴿فاطر: ٢٩﴾، وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (الزمر: ٢٣)، وفي صحيح مسلم عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ».

وهكذا ينبغي الاهتمام بتعليم اللغة العربية فهي أشرف لغة عند الله عز وجل إذ سبحانه أنزل كتابه المعجز بهذه اللغة الشريفة قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢) ﴿الزخرف: ٣﴾، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١١٣) ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١٩٤) ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١٩٥) ﴿الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥﴾.

ثم ليعلموا أن الجهل مذموم وأنه من المهلكات قال الله عز وجل لنبيه نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ هود: ٤٦، وقال موسى عليه السلام مستعيذاً بالله من الجهل: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ البقرة: ٦٧، وأما العلم فلا يذكر إلا بالشرف والرفعة ولا يساويه شيء في الدنيا لمن صلحت نيته كما قاله الإمام أحمد رحمته الله.

وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١، وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ الزمر: ٩، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨.

وفي الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».

والعلم لا يُطلب إلا عند أهل السنة، فإن هذا العلم دين فانظروا عن من تأخذون دينكم، هكذا قال الإمام محمد ابن سيرين رحمته الله، فلا يؤخذ العلم عن أهل البدعة والتحزب الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وإنما يؤخذ العلم عند أهل السنة الموثوقين المعروفين بالصلاح والأمانة والعفة والورع وإلى غير ذلك من الأمور الحميدة قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ الأنعام: ٦٨، وقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ الأنعام: ١٥٣.

قال العلامة أحمد النجمي رحمته الله كما في "الفتاوى الجليلة": «وصيتي لطلاب العلم جميعاً أن يتقوا الله عز وجل، وأن يتبعوا طريقة رسول الله ﷺ، وأصحابه وهي الطريقة السلفية، والمنهج السلفي، وأوصيهم بالجلوس عند العلماء السلفيين، وأوصيهم بأن يقرؤوا كتب التوحيد وكتب العقائد، وكتب الحديث، وكتب الفقه هكذا ينبغي، ويجب على طلاب العلم أن يتقوا

الله عز وجل وأن يحذروا من هذه الدعوات الحزبية المغرضة التي تريد أن تفرق صفوفهم، وتشتت شملهم، وتفرق كلمتهم.

والنبي ﷺ حذرنا من الدعاة الذين يدعون إلى النار، والعياذ بالله؛ ولا شك أن الحزبية فيها أخطاء فاحشة، ويجب على طالب العلم أن يحذرها وأن يرتاد حلقات العلماء السلفيين، وأن يقرأ الكتب التي ألفها السلفيون؛ وليحذر من كتب أصحاب الحزبيات، فإن فيها عسل وسم كما يقال، وبالله التوفيق» اهـ

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «وبالجملة فليس المتعصب بأهل لأن يؤخذ مؤلفاته فإنه إذ لم ينتفع بالعلم ويهتدي بما عرف منه فكيف يهتدي به غيره أو يتوصل بما جمعه إلى ما هو الحق؟ فالمصاب بالعمى لا يقود الأعمى، فإن فعل كانت ظلمات بعضها فوق بعض والمريض لا يداوي من هو مصاب بمثل مرضه ولو كان صادقاً فيما يزعمه من اقتداره على مداواة كانت نفسه التي بين جنبيه أحق بذلك منه» اهـ من "أدب الطلب" (ص ١٥٨)

و على هذا فمؤلفات المبتدعة تترك مطلقاً سواء كانت من مؤلفاتهم قبل انحرافهم أو بعد:

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل  
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٢- الحذر من جلساء السوء وأن لا يكون صيداً لدعاة الفتن الذين هم على أبواب جهنم فإن المرء على دين خليله قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) يَوَلِّقْ لِيَنِّي لَمْ أَخْذْ فَلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) الفرقان: ٢٧ - ٢٩، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعَبَادِ (٤٨) غافر: ٤٧ - ٤٨، وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰيْقُونَ (٣١) فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكْ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) الصافات: ٢٧ - ٣٤، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ

إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا أَنْخُنْ صَدْدَنَّا عَنْ آلِهَتِنَا بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بِكُنْزٍ مَجْهُومٍ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْإِيلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿سبأ: ٣١-٣٣﴾ وقال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ أَلَمْ نَكُنَّا مِنْكُمْ نَارًا وَكُنَّا نُرَآهَا وَعِظْمًا أَلَمْ نَكُنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلِعْ قَرْنَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ الصافات: ٥٠ - ٥٧.

فهذا حال كل من اغتر بأهل الباطل وجالسهم وأحسن بهم الظن إلا من رحم الله فيخلصه من تلك الشبكة، وفي هذه الأدلة عتاب الضالين على مضليهم يوم القيامة، وعلى هذا فهلا يخشى عبید الجابري أن يأتي يوم القيامة، من أضله وارثه عن دين الله بسبب فتواه الخائنة بالبقاء في بلاد الكفر ويقول: ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فصلت: ٢٩.

فالواجب على الإنسان أن يتبرأ من أهل الباطل قبل أن يتبرؤوا منه هم يوم القيامة قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَهُ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٣٧﴾﴾ البقرة: ١٦٦ - ١٦٧.

قال ابن القيم رحمته الله: « قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة والضلال، فوالله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من موافقتهم إذا قيل ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ الصافات: ٢٢.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده الإمام أحمد رحمته الله: أزواجهم أشباههم ونظراؤهم، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ التكويد: ٧، قالوا: فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته، هنالك والله يعرض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذا الدار عليه يقول: ﴿يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

يَتَوَلَّيْ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴿الفرقان: ٢٧ - ٢٩﴾ اهـ مقدمة "القصيدة النونية" تعليق الفوزان ص ١٣ .

وقال النبي ﷺ كما في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه الأشعري: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِعِ الْكَيْرِ فَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُخَذِّبَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِعِ الْكَيْرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».

وفي "الإبانة" لابن بطة عن الفضيل بن عياض: «لا تجلس مع صاحب بدعة ، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة».

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص: «لا تجالس مفتونا ، فإنه لن يخطئك منه إحدى اثنتين ، إما أن يفتنك فتتابعه ، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه».

٣- الفرار بالدين: فإنه رأس المال والخروج من بلاد الكفار ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴿الذاريات: ٥٠ - ٥١».

٤- وأنصحهم ألا يطمئنوا بالبقاء في بلاد الكافرين أعداء الله ورسوله وأن لا يفرحوا بأباطيل عبيد الجاهلي في هذه المسألة بل عليهم أن يأخذوا بنصائح وتوجيهات علماء السنة رحم الله موتاهم وأحيائهم، فهذا هو العلامة العثيمين رحمه الله عليه يقول: «وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم» اهـ

٥- وإن مما أذكر به نفسي وإخواني وسائر المسلمين أن نقيم دين الله عز وجل كما أراد الله سبحانه وتعالى بإتباع الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح والبعد عن الشبهات والشهوات قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿البقرة: ٢٠٨﴾ وقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ

وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ ﴿الشورى: ١٣﴾ وفي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَفَتَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَعِلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

وقال رسول الله ﷺ: «فإنه من يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» أخرجه أحمد وغيره عن العرياض رضي الله عنه.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه قال: «لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَرِيعَ»

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢﴾ الأعراف: ٣، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ العنكبوت: ٥١، وقال: ﴿فَإِن نَّزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النساء: ٥٩، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ النساء: ١١٥.

وفي هذه الأدلة تحريم التقليد والتجرد للحق، قال ابن القيم رحمته الله: «قَالَ الشَّافِعِيُّ قَدَسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدْعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ» اهـ من "إعلام الموقعين" (١١ / ٢).

وقال الشافعي رحمته الله: «لقد ضل من ترك حديث رسول الله ﷺ لقول من بعده» اهـ من الفقيه والمتفقه "للخطيب البغدادي رحمته الله.

فلا يلتفت إلى أحد إذا خالف السنة كائناً من كان، ولما سأل ذلك الشامي عبد الله بن عمر عن التمتع قال له عمر: هي حلال فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها فقال عبد الله بن

عمر: أرئيت إن كان أبي نهى عنها وفعلها رسول الله ﷺ أأمر أبي نتبع أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ. فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ. الحديث أخرجه الترمذي وهو في الجامع الصحيح للعلامة الوادعي.

قال فضيلة الشيخ النجمي رحمه الله: «أنصح الإخوة في الله طلاب العلم بالحرص على الاستقامة على منهج السلف، واللجوء إلى الله عز وجل، ودعائه سرّاً وجهراً باطنياً وظاهراً بأن يشتنا جميعاً على التوحيد، وعلى العقيدة السلفية حتى نلقاه على ذلك، فنحن مطالبون بالاستقامة على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ وعلى فهم السلف الصالح لهما؛ هذا هو الواجب على كل مسلم، والله عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ، ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨] ، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] اهـ من "الفتاوى الجليلة" (١٥٨/٢).

٦- الإقبال على ما ينفعهم، والبعد عن الفتن والمعاصي: ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» الحديث.

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ مَلَجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُدْ بِهِ»

وروى أبو داود رحمه الله عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: أيم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن لمن جنب الفتن ولن ابتلى فصبر فواها».

٧- ملازمة الورع والعفة واجتناب المحرمات فإن هذه الأمور من أسباب صيانة الدين: ففي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الْحُلَالُ بَيْنُ

وَالْحَرَامُ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ . أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ . أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ .»

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرَّمَ » أخرجه ابن ماجه .

وفي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه » وهذا لفظ مسلم .

#### ٨- الإقبال على الله عز وجل والزهد في هذه الدنيا الفانية:

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ (٣٦) محمد: ٣٦، وقال: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَهُ ثُمَّ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴾ (٢٠) الحديد: ٢٠، وقال: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَرَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أَتَلَّهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٤) يونس: ٢٤، وقال: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣٢) الأنعام: ٣٢، وقال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (١١) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١٧) الأعلى: ١٦ - ١٧، وقال: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَلِيلًا ﴾ (٢٧) الإنسان: ٢٧، ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النُّكَارُ  
وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴿هود: ١٥-١٦﴾

وثبت عن النبي ﷺ من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أنه قال: «يقول ربكم تبارك وتعالى: ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقراً، وأملأ يديك شغلاً».

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه» وهو عند الترمذي عن بن عبيد بلفظ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ» أي قناعة بما أعطاه الله.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا ذُبَّانٍ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» أخرجه أحمد والترمذي.

٩- وأخيراً مما أوصي به نفسي وإخواني وفقني الله وإياهم لما يحبه ويرضاه هو كثرة ذكر الله عز وجل وتعلق القلوب به سبحانه في سائر الأوقات:

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ ﴿الأحزاب: ٤١-٤٣﴾

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ ﴿الأنفال: ٢﴾

وقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِلَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ ﴿آل عمران: ١٩١﴾

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْفَتْسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ الزمر: ٢٢ .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ طه: ١٢٤ - ١٢٦ .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي قال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

وقال يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام في تلك الكلمة التي أمره الله تعالى أن يعمل بها وأن يأمر بني إسرائيل أن يعمل بهن: «وَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُخْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ» أخرجه الترمذي من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه وهو حديث صحيح وهو في الجامع الصحيح للعلامة الوادعي رحمه الله عليه.

ثم ليعلموا أن الاجتهاد في العبادة والانشغال بذكر الله خاصة في أيام الفتن ليس كغيرها من الأيام بل هي كهجرة إلى رسول الله ﷺ لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «العبادة في الهرج كهجرة إلي»، فهنيئاً لمن كان حاله كذلك عند كثرة الفتن والاختلافات والخصومات وإلى غير ذلك من الابتلاءات، وهكذا ينبغي للإنسان أن يدعوا الله كثيراً أن يدفع عنه الفتن ما ظهر منها وما بطن؛ فإن في مسألة الدعاء والإلحاح على الله عز وجل منافع عظيمة لا يعلمها إلا الله، ومن ذلك ما ثبت عن المعصوم عليه أفضل الصلاة والسلام عند الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: أَنَا عَنْ ظَنِّ عَبْدِ بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ غافر: ٦٠ ، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ النمل: ٦٢ ، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ الأعراف: ٥٦ .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاةً وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذَرَاةً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً».

ونسأل الله أن يوفقنا إلى الصواب والحمد لله رب العالمين.

## الفصل الثامن

### نصح وزجر لعبيد

هذا وقد نصح هذا الرجل كثيراً بل وقد نصحه من هو أفضل مني وأرفع مني علماً وقدرًا وشأنًا، بالنصائح والتوجيهات العلمية فلم يتصح من ذلك كله بل لم يزد إلا عتوّاً وفجوراً وإساءة وحقداً ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ يوسف: ١٠٣ .

وأنا إن شاء الله في هذا المقام أدعوه إلى التوبة ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾ طه: ٤٤ ولعله يتدارك نفسه من هذا السفول والخساسة التي هو واقع فيها وأن يتوب إلى الله عز وجل ويستغفره من نصرته لأهل الباطل في نشر الحزبية في البلاد اليمنية ومن تحزبه وبدعته وإغوائه وإضلاله للمسلمين بفتاواه الباطلة، وأن ينتهي من دعوته إلى التفرق وتحذيره من أهل السنة وبغضه وحقده لهم وإيذائه للصالحين الناصحين للدعوة السلفية وحملة العقيدة الصحيحة، فكل ذلك من العظائم والجرائم عند الجابري بل ولا يتخلص من هذه العظائم والمهالك بمجرد فعل الطاعات من صلاة وصوم كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿هود: ١١٤﴾ إذ أن المراد بالسيئات هنا الصغائر أما الكبائر مثل الحزبية والبدعة فلا تُذهب إلا بالتوبة النصوحة لقوله عليه الصلاة والسلام: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهنَّ إذا اجتنبت الكبائر».

فهلاً يا عبيد انتهجت محبة اهتدائك، وعجلت معالجة دائك، وفللت شباه اعتدائك؟

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٤) المائدة:

. ٧٤

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ التحريم: ٨ .

وقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨) يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) الفرقان: ٦٨ - ٧١ .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) النساء: ١١٠ - ١١٢ .

وقال: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَاكِ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكَبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) الزمر: ٥٣ - ٦١ .

وأنصحك يا عبيد أن تتحلل من المسلمين من ظلمت منهم أو أضللت أو أغويت فإن «الظلم ظلمات يوم القيامة» كما جاء عن المعصوم عليه أفضل الصلاة والسلام من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه في الصحيحين.

وقال الإمام البخاري رحمته الله: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ لَيَسَّ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» .

وأخرج الإمام البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رحمته الله أن النبي ﷺ قال: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا...» .

وهذا رسول الله ﷺ خير الخلق على الإطلاق الذي غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر وسيد الناس يوم القيامة عليه الصلاة والسلام يقول: «وَأِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ» أخرجه أبو داود عن أنس ابن مالك رحمته الله وهو حديث صحيح .

فيجب عليك يا عبيد أن تتوب إلى الله عز وجل مما حصل منك من الفجور والفتون وأن تتحلل من الذين تجاهلت عليهم من المؤمنين وافترت عليهم افتراءات وأكاذيب وانتهكت أعراضهم بغير حق وكثير ما هم، بل ومنهم الصحابي الجليل كعب بن مالك رحمته الله حيث قلت فيه لو أنه مات على ذلك الحال حين أن تخلف عن غزوة تبوك، لمات مضلاً!!، فكذبت وفسقت، بل أنت يا جابري لو مت على حالك هذا لمت ضالاً مضلاً، وفاتناً مفتوناً، وفاجراً مهجوراً وربما رغب أهل الفضل عن الصلاة عليك .

ومن الذين ظلمت وتجاهلت عليهم بغير حق، شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث، باتهامك إياه بالتفريط في الجرح وافترائك عليه بأن جرحه غير مقبول لدى المحدثين بتبديع وتفسيق .

ومن الذين انهرت عليهم من أهل السنة ومن جهاذة العلم ورجال الهدى والسنة:

- منهم شيخ الإسلام ابن تيمية .
- ومنهم العلامة الوادعي .
- ومنهم العلامة محمد بن صالح العثيمين .

- ومنهم العلامة الفوزان.
- ومنهم العلامة ابن قعود.
- ومنهم العلامة ابن غديان.
- ومنهم العلامة عبد الرزاق عفيفي.
- ومنهم الإمام ابن باز.
- ومنهم شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله.

فكل واحد من أولئك المذكورين رحم الله ميتهم وحفظ أحيائهم ما سلموا من لسان الجابري لا سلمه الله!!

وسبب ذلك أنهم يرون أن أهل السنة هم أقرب الطوائف إلى الحق، وعبيد الجابري ينتقد على هذا التعبير وبدع من يقول به!!!، ويقول: [أنا لو قلت بهذا القول لكنت مبتدعاً]، ويقول: [لا يجوز الدراسة عند من يقول بهذا القول]، ويقول: [من يقول بهذا القول لا يدري ما يخرج من رأسه]، وهذا يدل على جهل هذا الرجل إذ أن كلمة (أقرب) والتي هي على وزن (أفعل) التفضيل تقتضي المشاركة وزيادة كما هو معروف عند أهل اللغة.<sup>(١)</sup>

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ قال: من باب استعمال (أفعل) التفضيل في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء، كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ الفرقان: ٢٤. اهـ المقصود

فهل يتصور أن أهل النار هم أيضاً منعمون وإنما أهل الجنة خير منهم مستقراً فحسب؟؟!! هذا وقد ذكر النبي ﷺ كما في "مسلم" عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن قوماً يخرجون على فرقة مختلفة ثم قال: «يَقْتُلُهُمْ أَقْرَبُ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْحَقِّ». فهل يقال أن علياً رضي الله عنه ومن كان معه من المؤمنين أنهم مبتدعة؟؟!!!.

(١) انظر "لطف الله بالخلق من مجازفات الشيخ عبيد ورميه بالعظائم على من قال: أهل السنة أقرب الطوائف إلى الحق" لشيخنا يحيى حفظه الله من كل سوء ومكروه.

فما ذنب الذين يقولون بهذا القول يا جابري؟ وهم من العلماء الأجلاء فإنك تصفهم بأوصاف شنيعة وتصفهم بالزور والكذب والبهتان وأنهم شذوا وعندهم بدع وأقوالهم فاجرة، فاسدة إلى آخر كلامك الهُجْر. فقطع الله لسانك يا جابري - اللهم آمين-، فكيف هذا يا جابري وقد استعمل هذه العبارة من أرسل إلى الخلق كافة وجعله أميناً من في السماء فعليه أفضل الصلاة والسلام بأبي هو وأمي.

### شروط توبة الفاسق:

قال العلامة ابن القيم: «فتوبة هؤلاء الفساق من جهة الاعتقادات الفاسدة بمحض إتباع السنة ولا يكتفي منهم بذلك أيضا حتى يبينوا فساد ما كانوا عليه من البدعة إذ التوبة من ذنب هي بفعل ضده ولهذا شرط الله تعالى في توبة الكاتمين ما أنزل الله من البيّنات والهدى البيان لأن ذنبهم لما كان بالكتمان كانت توبتهم منه بالبيان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ۖ﴾ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) ﴿البقرة: ١٥٩ - ١٦٠، وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم لأن ذاك كتم الحق وهذا كتمه ودعا إلى خلافه فكل مبتدع كاتم ولا ينعكس وشرط في توبة المنافق الإخلاص لأن ذنبه بالرياء فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٦٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٦) ﴿النساء: ١٤٥ - ١٤٦، ولذلك كان الصحيح من القولين أن توبة القاذف إكذابه نفسه لأنه ضد الذنب الذي ارتكبه وهتك به عريض المسلم المحصن فلا تحصل التوبة منه إلا بإكذابه نفسه ليتنفي عن المقذوف العار الذي ألحقه به بالقذف وهو مقصود التوبة، وأما من قال إن توبته أن يقول: «أستغفر الله من القذف» ويعترف بتحريمه فقول ضعيف لأن هذا لا مصلحة فيه للمقذوف ولا يحصل له به براءة عرضه مما قذفه به فلا يحصل به مقصود التوبة من هذا الذنب فإن فيه حقين حقا لله وهو تحريم القذف فتوبته منه باستغفاره واعترافه بتحريم القذف وندمه عليه وعزمه على أن لا يعود وحقا للعبد وهو إلحاق العار به فتوبته منه بتكذيبه نفسه فالتوبة من هذا الذنب بمجموع الأمرين». اهـ من "مدارج السالكين (١/ ٢٩٥).

قال الإمام النووي رحمته الله: «قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها.

فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوّه وإن كانت غيبة استحلّه منها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة» اهـ من "رياض الصالحين".

قال العلامة العثيمين رحمته الله: إذا كانت غيبة فالواجب أن يقلع عن غيبة الناس والتكلم في أعراضهم، أما أنه يقول إنه تائب إلى الله وهو مصر على ترك الواجب أو مصر على فعل المحرم، فإن هذه التوبة غير مقبولة بل إن هذه التوبة كالاستهزاء بالله عز وجل، كيف تتوب إلى الله عز وجل وأنت مصر على معصيته.

وقال رحمته الله: من الغريب أن بعض الناس يتأوه من الغيبة وأكل لحوم الناس وهو من أكثر الناس غيبة نسأل الله العافية!!

أو يتأوه من الكذب وضياع الأمانة عند الناس، وهو من أكذب الناس وأضيعهم للأمانة!! اهـ بتصرف يسير

من أعجب العجائب:

ومن أعجب العجائب أن الدكتور فلاح إسماعيل أصلحه الله ينقل هذه الفتوى البائرة عن عبيد الجابري على سبيل الإقرار ويستبشر بها ويبشر الإخوة المساكين في أوروبا بأخذها ويقول الحمد لله الحمد لله!!!

أقول: مهلاً يا فلاح، مهلاً رحمك الله، فإن هذه الفتوى والله لا يفرح بها من له أثارة من علم فإنها فتوى تقشعر منها جلود أهل الاستقامة وتنكرها قلوبهم .

وهكذا تأتينا الأخبار من بعض إخواننا السلفيين الأفاضل بأنكم تميزون الدراسة في أماكن الاختلاط والتلفاز فهذا إذا ثبت عنكم كما نُقل إلينا من غير واحد فهذا والله حال سيء لا نرضاه لك وليست هذه الأمور من الدعوة السلفية في شيء بل لا نعلمه إلا عن الحزبيين، وهكذا لا نحب لك أن تدافع عن عبيد الجابري الحزبي المفتري بل كونك توافقه على هذا الانحراف بأن برمنجهام أصبحت دار هجرة يدل على أنك تركز إليه بشدة، فلا تفعل رحمك الله فإن الدفاع عن أهل الباطل عواقبه وخيمة يقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيماً﴾ (١٠٧) إلى قوله: ﴿هَتَأْتُمْ هَتُوءًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (النساء: ١٠٩) فتنبه هداك الله يا دكتور فلاح.

### تنبيهات وفوائد:

قد يعترض بعض النوكى ومن لا إدراك لهم في مثل هذه الأمور ويقولون: ما بال هذا الطالب المبتدئ المقصر يتكلم في هذا العالم الجليل المنتهى في الطلب فضيلة الشيخ عبيد الجابري المدرس في الجامعة الإسلامية سابقاً؟

فيقال لأولئك النوكى الحمقى من المتعصبين لعبيد الجابري ومن جرى مجراهم من المتحزبين والسفهاء «أن المرء حيث يضع نفسه» فإن عبيد الجابري هو الذي اختار لنفسه هذه الطريقة وعرض نفسه للإهانة حيث أتى بالمخالفات الشرعية الواضحة، حتى يبطش به صغار طلبة العلم فهذا جزائه وقد صدق ﷺ إذ يقول: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

وإن شأني مع عبيد الجابري وهو كما قال الشاعر:

وَلَمَّا رَأَيْتُكَ لَا فَاجِراً قَوِيّاً وَلَا أَنْتَ بِالزَّاهِدِ

ولا أنت بالرجل المتقي      ولا أنت بالرجل العابد  
 عرضتك في السوق سوق الرقيق      وناديت هل فيك من زائد  
 على رجل خائن للصديق      كفوراً بأنعمه جاحد  
 فما جاءني رجلٌ زادني دانقاً      ولم يـك في ذاك بالجاهد  
 فبعتك منه بلا شاهد      مخافة ردك بالشاهد  
 وأبت إلى منزلي غانماً      وحل البلاء على الناقد

قال الإمام الشافعي رحمته الله: «حُكْمِي فِي أَصْحَابِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ ، وَيُحْمَلُوا عَلَى الْإِبِلِ ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعِشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ ؛ وَيُقَالُ هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَأَخَذَ فِي الْكَلَامِ» اهـ انظر "الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع" للحافظ جلال الدين السيوطي.

وأما حكمي على عبيد الجابري أن يحذَر ويحذَر منه حتى يتوب من تيهه.

قال ابن رجب: «وقال أحمد: النَّاسُ محتاجون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غِلْظَةٍ إِلَّا رجل معلن بالفسق ، فلا حُرْمَةَ لَهُ» اهـ من "جامع العلوم والحكم".

وقال العلامة الألباني رحمته الله: «وهذه التخطئة بهذه الصورة اللينة الحكيمة لا تكون إلا بين العلماء المخلصين وطلاب العلم الناصحين الذين هم في علمهم ودعوتهم على كلمة سواء مبنية على الكتاب والسنة وعلى نهج سلف الأمة، أما إذا كان من يراد تخطئته من المنحرفين عن هذا المنهج الرباني فله حينئذ معاملة خاصة وأسلوب خاص يليق بقدر انحرافه وبعده عن جادة الحق والصواب» اهـ "فقه الواقع".

ثم إن الذلة والصغار ملحق بصاحب البدعة ولو دافع عنه من دافع لن ينفعه ذلك لأن النبي ﷺ يقول: «وَجَعَلَ الذُّلَّةَ وَالصُّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي» أخرجه أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾ الأعراف: ١٥٢، وقال سفيان بن عيينة رحمته الله كما في "الدر المنثور": «ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه وهو في كتاب الله. فقالوا: أين هي قال: أما سمعتم إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ الآية قالوا: يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة؟ قال كلا، اقرأ ما بعدها ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾»

فهي لكل مفترٍ مبتدع إلى يوم القيامة» اهـ، وقد قال شيخنا يحيى حفظه الله في عبيد الجابري: «حزبي مفترٍ»، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ كَمَا فِي "مجموع الفتاوى" (٤٢٦/١٥): «وَإِنْ هَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَازِينُ وَطَقَطَقَتْ بِهِمْ ذُلُّ الْبِغَالِ فَإِنَّ ذُلَّ الْمُعْصِيَةِ فِي رِقَابِهِمْ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ».

### خاتمة

فهذا حاصل ما أردنا من النصح للإسلام والمسلمين فيما يتعلق ببيان بطلان تلك الفتوى التي انفرد بها عبيد الجابري وهو ممن لا يتحمل التفرد ومما خلصنا به والله الحمد، هو أن هذا الرجل تحصل منه مخالفات شرعية كثيرة ليست بيسيرة في هذه الآونة الأخيرة نسأل الله العافية، فلا ينبغي أن يغتر به ولا يجوز الركون إليه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ هود: ١١٣، ولا يستفتى في دين ولا دينا والدفاع عنه يعتبر خداعاً وغشاً للإسلام والمسلمين، وقال النبي ﷺ: «إِنْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سَنِينَ خِدَاعَةٍ يُكَذَّبُ فِيهِ الصَّادِقُ وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُحَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ»، وعلى هذا فالمطلوب منا جميعاً (التعرف والتبصر في الأمور وعدم الإعراض عن ذلك، فإن لم يتبصر المسلم في أمر دينه ويتحقق مما يجري ويثار حوله، استطاع أهل الباطل أن يوقعوه في شباكههم بكل سهولة ويسر، لأن المحل الخالي من المعرفة والبصيرة سريع التأثر والاغترار ولهذا كان عوام الناس هم في الغالب حطب الفتن ووقودها، لانعدام البصيرة التي يقوى بها المرء على دفع الشبهات، ورد الأهواء ولأن النفس مجبولة على الانتصار لأنفسها، فلعلها إن وقعت في الباطل صعب عليها الرجوع إلى الحق إذا ظهر»<sup>(١)</sup>.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

### فهرس المحتويات

١..... مقدمة

(١) راجع كتاب "لَفَتَ نَظْرَ الْأَجَلَةِ إِلَى الْمَعْنَى الصَّحِيحِ لِاجْتِنَابِ الْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ".

- ٨..... نص فتوى عبيد الجابري كما نقل عنه ذلك الناقل المسمى بـ «فلاح بن إسماعيل»
- ٩..... الفصل الأول: تعريف الهجرة وبيان وجوبها
- ١١..... الفصل الثاني: الهجرة لا تكون إلا إلى بلاد الإسلام
- ١٦..... ذكر بعض فضائل الهجرة:
- ١٨..... الفصل الثالث: التفريق بين بلد الكفر وبلد الإسلام
- ١٩..... الفصل الرابع: في ذكر بعض الأضرار الحاصلة في المكث بين ظهرائي الكفار
- ٢١..... حكم السفر إلى بلد الكفر:
- ٢٤..... من أعظم أسباب التخاذل عن الهجرة:
- ٢٥..... فائدة في حكم السفر من بلد إسلامي يقام فيها شعائر الله إلى بلد إسلامي غلب عليها المعاصي:
- ..... الفصل الخامس: نبذة مختصرة في معرفة الأرض المقدسة التي أمر فضيلة الشيخ عبيد الجابري أهل أوروبا أن يهاجروا إليها
- ٢٦.....
- ٢٩..... الفصل السادس: عبيد الجابري لا يصلح للفتوى وبيان ما تضمنت هذه الفتوى من المفاصد والمهالك
- ٣٧..... الفصل السابع: نصيح أمين لأهل أوروبا خاصة وسكان ديار الكفر عامة
- ٤٨..... الفصل الثامن: نصيح وزجر لعبيد
- ٥٢..... شروط توبة الفاسق:
- ٥٦..... خاتمة